جُمْهُورِيَّةُ العِرَاقِ

دِيوَانُ الوَقْفِ الشِيْعِيّ

عَدَدٌ خَاصٌّ
عَنِ العَلَّامَةِ الحِلِّيِّ قدس سره

تُرَاثُ الحِلَّة

مَجَلَّةٌ فَصْلِيَّةٌ مُحَكَّمَةٌ تُعْنَى بِالتُّرَاثِ الحِلِّيِّ

تَصْدُرُ عَنِ:

العَتَبَةُ العَبَّاسِيَّةُ المُقَدَّسَةُ

قِسْمُ شُؤُونِ المَعَارِفِ الإِسْلَامِيَّةِ وَالإِنْسَانِيَّةِ

مَرْكَزُ تُرَاثِ الحِلَّة

معتمدة لأغراض الترقية العلميّة

السنة (الثانية) / المجلَّد (الثاني) / العدد (السادس)

ربيع الثاني ١٤٣٩هـ / كانون الأوَّل ٢٠١٧م

العتبة العباسيَّة المقدَّسة. قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة. مركز تراث الحِلَّة.
تراث الحِلَّة : مجلَّة فصليَّة محكَّمة تُعنى بالتراث الحِلِّي / تصدر عن العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة قسم شؤون المعارف المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة. مركز تراث الحِلَّة. - الحِلَّة/ العراق : العتبة العباسيَّة المقدَّسة، قسم شؤون المعارف الإسلاميَّة والإنسانيَّة، مركز تراث الحِلَّة. ١٤٣٧ هـ = ٢٠١٦-
مجلَّد : جداول، صور طبق الأصل ؛ ٢٤ سم
فصليَّة. -السنة الثانية، المجلَّد الثاني، العدد الخامس (٢٠١٧)-
ردمد: 2412.9615
يتضمَّن مصادر.
النص باللغة العربيَّة ؛ ومستخلصات باللغة الإنجليزيَّة.
١ . العلَّامة الحِلِّيّ، الحسن بن يوسف ابن المطهَّر، ٦٤٨-٧٢٦ هجري--المؤلَّفات--دوريَّات.
٢. العلماء المسلمون (شيعة)--المؤلَّفات--دوريَّات. ٣. الحِلَّة (العراق)--تاريخ--دوريَّات.
ألف. العنوان

KBP370.I263 A8374 2017 VOL. 2 NO. 6

مركز الفهرسة ونظم المعلومات

منهج العلَّامة الحِلِّيّ قدّسَ سرُّهُ في تفسيره (إيضاح مخالفة السنَّة لنصِّ الكتاب والسنَّة)

The Approach of Al-Allamah Al-Hilli (His Secret blessed) in his Interpretation ('Aidah Mukhalafat Al-Sunnah Li-Nas Al-Kitab Walsunna)

أ.د. حكمت عبيد الخفاجيّ

جامعة بابل/كليَّة الدراسات القرآنيَّة

Prof. Dr. Hikmet Obaid Al-Khafaji

University of Babylon/College of Quranic Studies

ملخَّص البحث

يُعدُّ كتاب (إيضاح مخالفة السنَّة لنصِّ الكتاب والسنَّة)، من أهمِّ الكتب التي قدمها العلَّامة الحِلِّيّ للقارئ؛ وذلك لأنَّه انطوى على مخالفات عدَّة وقع فيها أهل السنَّة لكلِّ واحدة من الآيات الكريمة في عقائدهم، فضلًا عن الأحاديث النبويَّة، فكان منهجه أن يجمع الآيات والأحاديث في مجموعة موحَّدة، ثمَّ يناقشها وفق معطياته الفكريَّة.

وقد اشتمل البحث على مباحث عدَّة منها: وصف مجمل لتفسير الإيضاح، وملامح منهج التفسير العقليّ في الكتاب، وموقف العلَّامة الحِلِّيّ من عقائد الإماميَّة، وردوده على المفسِّرين ومناقشة آرائهم، وأثر علوم القرآن في تفسير الإيضاح ، فضلًا عن موضوعات أخرى تناولها البحث بشيء من التفصيل.

Abstract

The book (Clarification of Sunni's infraction for the text of the Book and the Prophet's path) is one of the most important books that presented by Al-Allamah to the reader. This is because it contains several wrongs in which the Sunnis have fallen for each of the verses in their creeds, as well as Prophet Mohammed's speeches. His method was to collect verses and speeches in unified group and then he discusses them according to his intellectual data.

This research is based on a number of topics, including: A total description of the illustration interpretation, Features of the mental interpretation approach in the illustration, The attitude of Al-Allamah Al-Hilli of Imam's doctrines, His replies to the interpreters and discuss their views, The effect of Quran's science in interpreting the clarification, As well as other topics discussed in this paper in details.

المقدِّمة

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ، والصلاة والسلام على سيِّد المرسلين حبيب الله وحبيب قلوب المؤمنين رسول الله محمَّد بن عبد الله وعلى آله الطيِّبين الطاهرين المعصومين.

أما بعد...

فإنَّ من عناية الله تعالى ولطفه أن يقيِّض للقرآن الكريم من يخدمه، لما في ذلك من استمراريَّة نشر النور الإسلاميّ الساطع والأجر الرائع، ولما ينطوي عليه من نفع للمسلمين.

ولهذا هبَّ علماء الأمَّة الإسلاميَّة من أوَّل نزول القرآن يحاولون فهمه، والوصول إلى مراد الله تعالى من خلاله، فكان بعض أصحاب النبيّ ﷺ يعقدون مجالسهم لمدارسته والعمل به، فإن أشكل عليهم معنى أو غمض عليهم تركيب، لجأوا إلى معلِّمهم الأكرم ومفسِّرهم الأقدم رسول الله ﷺ يسألونه ويستوضحونه، لسابق علمهم بأنَّ هذا النبيّ الكريم كان من إحدى أهمِّ وظائفه بيان كتاب الله، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ النحل: ٤٤، فيجدون عنده ضالَّتهم، ويروون من سلسبيله ظمأهم، فلمَّا التحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى، حيث المقامات السامية وجنَّة الخُلد العالية، شمَّر بعض من الذين ساروا على نهجه ﷺ عن ساعد السعي الحثيث والجدِّ الدؤوب في تعليم القرآن الكريم درسًا وقراءةً وحفظًا وعملًا، وسار على نهجهم جهد الميامين من التابعين وتابعي التابعين، يأخذون عنهم، وينقلون

مـا أخذوه إلى الناس، وذلك للحاجة الشـديدة إلى هذا الأخذ والنقل، بعد أن اتَّسـعت الرقعة الإسـلاميَّة بما منَّ الله تعالى على المسـلمين بفتح البلدان والأمصار؛ ليسـتضيئوا بنور الإسلام، ويستنيروا بهديه، فاختلطت ثقافات أجنبيَّة بالثقافة الإسلاميَّة، وظهرت مشاكل فكريَّة ما كانت لتظهر لولا هذا الاختلاط، وذاك الاتِّساع.

وانـبرى بعده علـماء الأمَّة يذودون عن حياض الإسـلام، ويحمـون بيضته من أن تتسلَّل أفكار خارجة عن حدوده الفكريَّة، والاجتماعيَّة، والسياسيَّة، والعلميَّة.

وأحسَّ العلماء أنَّهم لا يستطيعون الوقوف بوجه التيَّارات المضادَّة إلَّا بمعرفة معاني القرآن الكريم، والغوص في تفسيره، للتوصل إلى مراد الله تعالى، مدركين بأنَّ في القرآن الكريـم جميع الحلول، وكلُّ عـرى المنظومة الفكريَّة الإسـلاميَّة، بـما ينظِّم كلّ مجالات الحيـاة، دنيويَّة أو أُخرويَّة، فأقبلوا عليه موصلين الليل بالنهار تعلُّمًا، ودراسـةً، و قراءةً، وحفظًا، وتدبُّرًا، فكان لهم ما يريدون.

وكان العلَّامـة الحِلِّيّ (ت ٧٢٦هـ) من جملتهم، بيْـد أنَّ صفة المتكلِّم ظلَّت تلازمه، حتَّـى إنَّ علماء الرجـال والتراجـم والطبقات عدُّوه مـن متكلِّمي الإماميَّـة البارزين، فأردت التحقُّق من ذلك، فبحثتُ في ثنايا المصادر من كتب الحديث والتفسـير والكلام والعقائـد، ففوجئت بأنَّ العلَّامة الحِـلِّيّ مفسِّرٌ بارز للقرآن الكريـم، من الطراز الأوَّل، وذلك بما عُرض أمامي وتجمَّع لديَّ من قناعاتٍ من آرائه السـديدة في التفسير، هذا من جهة، وممَّا تلمَّسـت من أثر له في عرض أدلَّته لأثبات مخالفة أهل السـنَّة للسـنَّة والقرآن من جهة أخرى.

ومـن هذا المنطلق، رأيت أن يكون موضوع هذا البحـث (منهج العلَّامة الحِلِّيّ قدس سره في تفسـيره «إيضاح مخالفة السـنَّة لنصِّ الكتاب والسـنَّة»)؛ لما عُرف عنه من أثرٍ كبيرٍ في

علم التفسير والعلوم الأخرى الَّتي خدمت القرآن الكريم، فقد عُرف العلَّامة الحِلِّيّ بشخصيَّته المتميِّزة بين الناس وبين الأوساط العلميَّة في عصره، فتوجَّهت أنظار المسلمين إليه من المذاهب كلِّها، لينتفعوا منه في الميادين كلِّها، ولاسيما ميدان تفسير القرآن، فصار مرجع الخاصَّة والعامَّة على السواء.

أوَّلًا: وصف مُجمل لتفسير الإيضاح

قبل أن أشرع في وصف تفسير الإيضاح للعلَّامة الحِلِّيّ، لا بدَّ من عرض جملة من تقييمات الرجاليِّين والعلماء للعلَّامة جمال الدين الحسن بن يوسف بن زين الدين عليّ بن المطهَّر الحِلِّيّ (ت ٧٢٦هـ)، فقد وصفه الرجاليّ ابن داود الحِلِّيّ المعاصر له بقوله: «شيخ الطائفة وعلَّامة وقته وصاحب التحقيق والتدقيق، كثير التصانيف، انتهت رئاسة الإماميـة إليـه في المعقول والمنقـول»[١]، وقال الحرُّ العامليّ في أمـل الآمل: « فاضل عالم علامـة العلماء، محقق مدقق ثقة ثقة فقيه محدّث، متكلَّم ماهر جليل القدر عظيم الشـأن رفيع المنزلة، لا نظير لـه في الفنون والعلوم والعقليات والنقليات»[٢]، و وصفه النوريّ بقولـه: «ولآية الله العلَّامـة من المناقب والفضائـل ما لا يُحصى، أمَّـا درجاته في العلوم ومؤلَّفاته فيها فقد ملأت الصحف وضاق عنها الدفتر، وكلَّما أُتعب نفسي فحالي كناقل التمـر إلى هجر، فـالأولى تبعًا لجمع من الأعلام الإعراض عن هـذا المقام»[٣]، ووصفه الأفنديّ بقوله: «إنَّه كان من أزهد الناس وأتقاهم، ومن زهده ما حكاه السـيِّد حسـين المجتهد في رسـالة النفحات القدسـيَّة عنه، أنَّه قدس سره أوصى بجميـع صلواته وصيامه مدَّة عمره، وبالحجِّ عنه مع أنَّه كان قد حجَّ كما نقله في شـأن الشـيخ عليّ الكَرَكيّ أيضًا»[٤]، لا جرم أنَّه في ضوء هذه الكلمات الباهرات، والعبارات الساميات في حقِّ العلَّامة الحِلِّيّ، نلحظ عبارات من نحو: (رئاسـة الإماميَّة في المعقول والمنقول)، و(لا نظير له في الفنون والعلـوم والعقليَّات والنقليَّات)، وغيرها، والتي لها اتِّصال بدراسـتنا، ولاسـيما منهج التفسير العقليّ والمبنى الكلاميّ.

وحان الحين أن نتحدَّث عن مصنَّفه محطّ القول، ومدار البحث الموسوم بـ(إيضاح مخالفة السنَّة لنصِّ الكتاب والسنَّة)، وقد وصفه العلماء بأوصاف ونعوت واضحات، نكتفي بإيراد قول الحرِّ العامليّ في وصفه، إذ قال: «رأينا منها نسخة قديمة من الخزينة الموقوفة الرضويَّة، سلك فيها مسلكًا عجيبًا، قال: والذي وصل إلينا هو المجلَّد الثاني، وفيه سورة آل عمران لا غير، ذكر فيها مخالفتهم لكلِّ آية من وجوه كثيرة، بل لأكثر الكلمات، وله تفسير آخر سمَّاه بـ(نهج الإيمان في تفسير القرآن)، وله تفسير ثالث سمَّاه بـ(كتاب الأنس لأهل التميُّز في تفسير الكتاب العزيز)[٥]. وهذا الكتاب يمكن عدُّه من كتب الاحتجاج والجدل؛ لاشتماله على بيان مخالفات السنَّة لنصِّ الكتاب والسنَّة، ويمكن عدُّه من كتب التفسير؛ لما فيه من تفسير الآيات، وبيان مداليلها.

ثانيًا: ملامح منهج التفسير العقليّ في الإيضاح

في ظلِّ قراءة الكتاب، وتدبُّره، والوقوف عليه، تكشَّفت لنا الموارد الكلاميَّة والعقليَّة التي تبنَّاها العلَّامة الحِلِّيّ عن منهجٍ متكاملٍ تجده واضحًا في تفسيره الإيضاح، وهذا المنهج هو خلاصة مبانيه الكلاميَّة والعقليَّة التي عرضها في مجمل كتبه الكلاميَّة، ككتاب (كشف المراد)، وكتاب (منهج الحقِّ)، إذ أكَّد العلَّامة الحِلِّيّ أهميَّة التفكُّر، واعتمد أسلوب النظر في فهم النصوص القرآنيَّة، في ضوء استعمال العقل في معرفة آيات الله وأحكامه، وقد حفل تفسير الإيضاح بالعديد من الإشارات التي تنمُّ عن المنهجيَّة العقليَّة التي كان يتَّبعها مفسِّرنا في تصدِّيه لتفسير آيات الكتاب العزيز، والتي يمكن تلخيصها باستجلاء موقفه من المسائل الكلاميَّة الآتية:

١. نظريَّة خلق الله لأفعال العباد، خيرها وشرِّها، فقد بيَّن موقف المعتزلة والأشاعرة[٦].

٢. نظريَّة التحسين والتقبيح العقليَّين والشرعيَّين[٧].

٣. نظريَّة تعذيب المطيع، وإثابة العاصي[٨].

٤. نظريَّة تعليل أفعال الله تعالى[٩].

٥. نظريَّة الهداية والضلال[١٠].

٦. تفسير قوله تعالى ﴿مَتَى نَصْرُ اللهِ﴾، هل هو الدعاء أو الاستبطاء[١١]؟.

٧. البدل وتكليف ما لا يُطاق[١٢].

٨. نظريَّة الفاضل والمفضول[١٣].

٩. مقدِّمات النبوَّة[١٤].

١٠. نظريَّة اللطف والتوفيق[١٥].

١١. إرادة الله تعالى والعبد[١٦].

١٢. تفسيره معنى الرزق[١٧].

١٣. تفسيره الثواب والعقاب[١٨].

١٤. الصفات الإلهيَّة[١٩].

١٥. حقيقة الإيمان[٢٠].

١٦. التكليف بما لا يُطاق[٢١].

١٧. عصمة الإمام[٢٢].

١٨. كرامات الأولياء[٢٣].

ثالثًا: موقف العلَّامة الحِلِّيّ من عقائد الإماميَّة

استطاع العلَّامة الحِلِّيّ في ضوء تفسيره (ايضاح مخالفة السنَّة لنص الكتاب والسنَّة) أنْ يدعم مذهبه الإماميّ بكلِّ ما أُوتي من حولٍ وقوَّةٍ وقدرةٍ علميَّةٍ ومنهجٍ عقليٍّ رصينٍ، مستفيدًا من آيات الكتاب العزيز؛ لبيان صواب وجهات النظر الَّتي يؤمن بها الإماميَّة في التوحيد والعدل والنبوَّة والإمامة والمعاد، وكلُّ ما يتَّصل بها من فروع ومسائل كالتقيَّة وعصمة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وكذلك جميع المسائل الكلاميَّة والعقديَّة موضوع البحث، وقد دافع العلَّامة الحِلِّيّ عنها دفاعًا متَّسمًا بالقناعة الثابتة، وردَّ كلَّ الإشكالات والأقوال التي أُثيرت حول تلك المسائل، وبها يؤكِّد منهجه المتطوِّر وإبداعه والقدرة على الحجاج المناظرة والحوار، فأعطى كلَّ موضوعٍ من موضوعات العقائد لدى الإماميَّة ما يستحقُّه من الحديث، وكانت النزعة العقليَّة بارزةً إلى حدٍّ كبيرٍ في كلِّ ما تحدَّث عنه العلَّامة الحِلِّيّ، فأثبت بالدليل والبرهان مخالفة من يُطلقون على أنفسهم بأنَّهم أهل السنَّة للنصِّ الشرعيِّ من كتاب أو سنَّة، ولايتأتَّى ذلك إلَّا لمن كان مطَّلعًا على تلك العقائد الفاسدة والمنحرفة، وهي بنظر البحث محاولة كبيرة من العلَّامة الحِلِّيّ؛ ليُبيِّن تلك العقائد، ويثبِّت المنهج الصحيح والمستقيم الذي عليه أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فهي تذكرة لأُولي الألباب، أو لمن ألقى السمع وهو شهيد[٢٤].

رابعًا: ردوده على المفسِّرين ومناقشة آرائهم

تعـرَّض العلَّامة الحِـلِّيّ لآراء جملة من المفسِّرين، وأشـكل على الكثـير من آرائهم وأقوالهم التي عرضوها في تفاسيرهم، وقد تناول في تفسيره (إيضاح مخالفة السنَّة لنصِّ الكتاب والسـنَّة) كلًّا من تفسير الطبريّ، وتفسـير الجبائيّ، وتفسير الطوسيّ، فهو تارةً يلخِّص آراء شيخ الطائفة الطوسيّ، ويتبنَّاها، وتارةً أخرى يردُّ على آراء بعض المفسِّرين الذين يتبنُّون آراء الأشـاعرة عند تفسـيرهم لآيـات القرآن الكريم، وردَّهـم ردًّا عقليًّا هادئًـا، وقد يتَّضح لنا، في ضوء متابعتنا لتصدِّيه لهم، منهجه العقليّ في التفسـير، إذ كان يعـرض النصَّ القرآنيّ، ثمَّ يذكر مبناه الكلاميّ، بعد ذلك يشـخِّص موقف الأشـاعرة وأهـل السـنَّة منه، ثمَّ يبـيِّن بدقَّة عقليَّة منقطعـة النظير وجه مخالفتهـم لصريح الكتاب والسنَّة، ذلك كلُّه مُسندًا إلى الدليل العقليّ والحجَّة[٢٥].

وقد كان يعمد أحيانًا إلى ترجيح رأيٍ لأحد المفسِّرين على آراء غيره، ويدعم الرأي الـذي يميل إليه، بما يملكه من حجَّةٍ ودليلٍ، وبهذا يكون العلَّامة الحِلِّيّ قد أتحف المكتبة الإسلاميَّة بالعديد من الآراء التي قالها المفسِّرون القدامى، والتي لولا ذِكْره لها لضاعت مـع ما ضاع من تراثٍ فكريٍّ وثقافيٍّ إسـلاميٍّ، ولم نحصل عـلى شيءٍ منها بغير ذِكْره لها وهنا نورد بعضًا من ردوده ومناقشاته لآراء جملةٍ من المفسِّرين:

١. ففي تفسير قوله تعالى:

﴿زُيِّـنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْـخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُـواْ وَالَّذِينَ اتَّقَواْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٢٦].

يذكر وجوه مخالفة السنَّة لهذه الآية في ضوء عرضه أقوال المفسِّرين في: مَن هو (المُزيِّن)؟ فعن التبيان: «... وقيل في معنى تزيين الحياة الدنيا قولان:

أحدهما: قال الحسن، والجبائيّ، وغيرهما: إنَّ المزيِّن لهم إبليس وجنوده؛ لأنَّهم الذين يغوون، ويقوُّون دواعيه، ويُحسنون فعل القبيح، والإخلال بالواجب، ويسوِّفون لهم التوبة، فأمَّا الله تعالى، فلا يجوز أن يكون المزيِّن لها؛ لأنَّه زهد فيها، فأعلم أنَّها متاع الغرور، وتوعَّد على ارتكاب القبائح فيها.

والقول الثاني: إنَّ الله تعالى خلق فيها الأشياء المعجبة، فنظر إليها الذين كفروا بأكثر من مقدارها. كما قال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾[٢٧]، وإنَّما أراد بذلك ما جُبِل الخلق عليه من الميل إلى هذه الأشياء، لا أنَّه حسَّن جميعها، ولم يقبِّح شيئًا منها، وكلاهما جائزان حَسَنان. والتزيين، والتحسين واحد، والزين: خلاف الشين، والزينة: اسم جامع لكل ما يتزين به، وهذا أمر زاين له أي مزين له»[٢٨].

وقال أيضًا: «﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[٢٩]، **وقالوا**: فهذه الآيات متوافقة، والمعنى في الكلِّ أنَّ الله جلَّ جلالهُ جعل الدنيا دار ابتلاء وامتحان، فركب في الطباع الميل إلى اللذَّات وحبُّ الشهوات، لا على سبيل الإلجاء الذي لا يمكن تركه، بل على سبيل التحبيب الذي تميل إليه النفس، مع إمكان ردِّها عنه، ليتمَّ بذلك الامتحان، وليجاهد المؤمن هواه فيقصر نفسه على المباح، ويكفّها عن الحرام»[٣٠].

الثاني: «أنَّ المراد من التزيين أنَّه تعالى أمهلهم في الدنيا، ولم يمنعهم عن الإقبال عليها، والحرص الشديد في طلبها، فهذا الإمهال هو المسمَّى بالتزيين»[٣١].

الوجه الثالث: في تقرير هذا التأويل أنَّ المراد: إنَّ الله تعالى زيَّن من الحياة الدنيا ما كان من المباحات دون المحظورات[٣٢]. أمَّا الفخر الرازيّ فإنَّه يردُّ على هذه الآراء كلَّها، ويبدي رأيه الخاص قائلًا: «وأمَّا أصحابنا فإنَّهم حملوا التزيين على أنَّه تعالى خلق في قلبه إرادة الأشياء والقدرة على تلك الأشياء، بل خلق تلك الأفعال والأحوال، وهذا بناءً على أنَّ الخالق لأفعال العباد ليس إلَّا الله سبحانه، وعلى هذا الوجه ظهر المراد من الآية»[٣٣]. أمَّا الآلوسي فأنَّه يحتمل معنيين لهذه الآية، أحدهما المزيِّن هو الله، والثاني المزيِّن هو الشيطان[٣٤].

أمَّا الطبريّ والطباطبائيّ فإنَّهما لم يعيِّنا الفاعل، وفسَّرا الآية بصيغة المجهول[٣٥].

فبعد أن نقل العلَّامة الحِلِّيّ رأي شيخ الطائفة، وتبنَّى تفسيره الكلاميّ في أنَّه لايمكن أن يكون المزيِّن هو الله تعالى؛ لأنَّه زهد فيها، وتوعَّد من يرتكب القبائح، وإنَّما يصحُّ ذلك لو كانت الأفعال مستندة إلى العبد، وأنكرت السنَّة نسبة الأفعال إلى العبد، وأضافتها إلى الله تعالى من جهة، ويصحُّ المبنى إذا كان الله تعالى لا يفعل القبيح، في حين نسبت السنَّة فعل القبيح لله تعالى[٣٦]، ولايخفى أنَّ العلَّامة الحِلِّيّ يشير إلى قضيَّة كلاميَّة تتَّصل بصفات الله عزَّ وجلّ، فقد نسبت الأشاعرة القبح إلى الله عزَّ وجلّ، وأنَّه تعالى يفعل القبيح[٣٧].

٢. كذلك عند تفسيره قوله تعالى:

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٣٨].

فإنَّه يذكر اختلاف المفسِّرين في بيان معنى ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾، فبعد أن تبنَّى تفسير الشيخ الطوسيّ، أي أهل ملَّة واحدة، بيَّن اختلافهم فيما كان عليه، فقال ابن عبَّاس وجماعة كانوا على الكفر فاختلفوا بعد ذلك، وقال قتادة: وغيره كانوا على الحقِّ فاختلفوا، وبيَّن وجه مخالفة السنَّة فيه، فصحَّح ذلك فقال: لو كان العبد فاعلًا إشارة إلى مذهب السنَّة الَّذين ينفون فعل العبد(٣٩).

فترى العلَّامة الحِلِّيّ بصدد بيان المخالفة العقديَّة عند من يسمُّون أنفسهم أهل السنَّة، فعرض آراء المفسِّرين، ثمَّ بيَّن وجه المخالفة، وتبنَّى رأي الشيخ الطوسيّ في التفسير الذي هو أحد المصادر التفسيريَّة للكتاب.

٣. كذلك عند تفسيره قوله تعالى:

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٤٠).

فقد ذكر العلَّامة الحِلِّيّ رأي قتادة والربيع في أنَّ الذي مرَّ على قرية هو عزير، وهو مرويٌّ عن الإمام الصادق عليه السلام، ورأي وهب بن منبه في أنَّه إرميا، وهو مرويٌّ عن الباقر عليه السلام، ورأي ابن اسحق في أنَّه الخضر، والقرية التي مرَّ عليها هي بيت المقدس لمَّا خرَّبه بخت نصر(٤١)، وبيَّن أوجه مخالفة السنَّة لهذه الآيات في:

﴿أَوْ كَالَّذِي﴾: أسند الفعل إليه، وإنَّما يصحُّ لو كان العبد فاعلًا، وخالفت السنَّة فيه.

﴿مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾: أسند الفعل إليه، وإنَّما يصحُّ لو كان العبد فاعلًا، وخالفت السنَّة فيه.

﴿قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَـٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: أسند القول إليه، وإنَّما يصحُّ لو كان العبد فاعلًا، وخالفت السنَّة فيه.

وهذا خبر يُعلم صدقه لو امتنع الكذب على الله تعالى، وخالفت السنَّة فيه.

﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ﴾: وهذا خبر يعلم صدقه لو امتنع الكذب على الله تعالى، وخالفت السنَّة فيه.

﴿ثُمَّ بَعَثَهُ﴾: وهذا خبر يعلم صدقه لو امتنع الكذب على الله تعالى، وخالفت السنَّة فيه.

﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ﴾: خبر يعلم صدقه لو امتنع الكذب على الله تعالى، وخالفت السنَّة فيه.

﴿قَالَ﴾: أسند القول إليه، وإنَّما يصحُّ لو كان العبد فاعلًا، وخالفت السنَّة فيه.

﴿لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾: وهذا خبر يعلم صدقه لو امتنع الكذب على الله تعالى، وخالفت السنَّة فيه.

﴿قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ﴾: خبر يعلم صدقه لو امتنع الكذب على الله تعالى، وخالفت السنَّة فيه.

﴿فَانظُرْ﴾: أُمره بالنظر، وإنَّما يصحُّ لو كان العبد فاعلًا، وخالفت السنَّة فيه.

﴿إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾: أي لم تغيِّره السنون، قيل: كان زاده عصيرًا وتينًا وعنبًا، فوجد العصير حلوًا والتين والعنب لم يتغيَّرا، وهذا خبر إنَّما يعلم صدقه لو امتنع

الكذب على الله تعالى، وخالفت السنَّة فيه[٤٢].

﴿وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾: أمره بالنظر إلى حماره،وإنَّما يصحُّ لو كان المأمور قادرًا على فعل يمكن صدوره منه، وخالفت السنَّة فيه[٤٣].

﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ﴾: قيل بعث أولاد أولاده شيوخ، وروي عن عليّ عليه السلام، أنَّ عُزيرًا خرج من أهله وامرأته حامل، وله خمسون سنة، فأماته الله مئة سنة، ثمَّ بعثه، فرجع إلى أهله ابن خمسين سنة، وله ابن ابن مئة سنة، فكان ابنه أكبر منه، وذلك من آيات الله، وقيل: لتتَّعظ أنت ويتَّعض الناس بك، وهذا إنَّما يصحُّ لو كانت أفعاله معلَّلة بالأغراض، وخالفت السنة فيه[٤٤].

﴿وَانظُرْ﴾: أمره بالنظر والاعتبار، وإنَّما يصحُّ لو كان المأمور قادرًا على الفعل، وخالفت السنَّة فيه[٤٥].

﴿إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾: بالراء غير المعجمة، وهو النشور، أي الحياة بعد الموت، نشر الميت إذا عاش، لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاء أَنشَرَهُ﴾[٤٦]، وقرىء بالزاي، ومعناه نرفع بعضها فوق بعض، خبر إنَّما يَعلم صدقه لو امتنع الكذب على الله تعالى، وخالفت السنَّة فيه[٤٧].

﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْما﴾: أي نغطِّيها باللحم، خبر إنَّما يعلم صدقه لو امتنع الكذب على الله تعالى، وخالفت السنَّة فيه[٤٨].

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾: أسند التبيان إليه، وإنَّما يصحُّ لو كان العبد فاعلًا، وخالفت السنَّة فيه[٤٩].

﴿قَالَ﴾: أسند القول إليه، وإنَّما يصحُّ لو كان العبد فاعلًا، وخالفت السنَّة فيه[٥٠].

﴿أَعْلَمُ﴾: أسند العلم إليه، وإنَّما يصحُّ لو كان العبد فاعلًا، وخالفت السنَّة فيه[٥١].

﴿أَعْلَـمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: خبر إنَّما يعلم صدقه لو امتنع الكذب على الله تعالى، وخالفت السنَّة فيه(٥٢).

يقول العلَّامة الحِلِّيّ: هذا الحكم لايتأتَّى على مذهب السـنَّة؛ لأنهم نفوا قدرة العبد بدليلين:

الأوَّل: إنَّ الطرف الواقع وغيره معلومان لله تعالى، ومعلوم الوقوع واجب الوقوع، ومعلوم العدم ممتنع الوقوع، والواجب والممتنع غير مقدورين.

الثـاني: إنَّ الفاعل إنَّما يفعل بواسـطة المرجَّح؛ لامتناع وقوع الممكن حالة تسـاوي الطرفـين، ثمَّ ذلك المرجَّح إن لم يمتنع وقوع الطرف المرجوح لم يخرج عن حدِّ الإمكان، فيفتقر مع المرجَّح إلى مرجَّح آخر، ولايتسلسـل، بل لا بدَّ أن ينتهي إلى مرجَّح يجب معه الوقوع، ومع الوجوب لا قدرة، وهذان الوجهان آتيان في أفعاله تعالى(٥٣).

خامسًا: أثر علوم القرآن في تفسير الإيضاح

السمة الغالبة على تفسير الإيضاح هي الاحتجاج، ودفع الشبهات، وبيان أوجه مخالفات السنَّة لنصِّ الكتاب والسنَّة، فلم يكن لعلوم القرآن أثرٌ واضحٌ في التفسير إلَّا بقدر ما له علاقة ببيان تلك المخالفات، والاحتجاج على الخصوم.

وقد ورد في تفسير الإيضاح بعض علوم القرآن التي باستجلائها أوضح العلَّامة الحِلِّيّ مباني مدرسة أهل البيت الكلاميَّة، واحتجاجاته على المخالفين فمنها:

أوَّلًا: الناسخ والمنسوخ

من المسائل المهمَّة في علوم القرآن وفي التفسير هي الناسخ والمنسوخ، حتَّى إنَّ العلماء قد نقلوا قول الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، لقاضٍ: (**أتعرف الناسخ والمنسوخ؟**)، قال: لا، قال الإمام: (**إذن هلكتَ وأهلكتَ**)[٥٤]. وقال أئمَّة العلم كذلك: لا يجوز لأحد أن يفسِّر كتاب الله إلَّا بعد أن يعرف الناسخ والمنسوخ، وهو ما خصَّ الله به هذه الأمة لحكم، منها:

التيسير وتدرُّج الأحكام، والنسخ واقع بالقرآن والسنَّة، ولكلٍّ منهما[٥٥].

والاعتراض على هذا القول يبدو في حكمة النسخ من تدرُّج الأحكام، باعتبار أنَّ التدرُّج في الحكم في النسخ في الاصطلاح، فالتدرُّج كان لحكمة اقتضتها التربية الإلهيَّة التي أراد الله سبحانه وتعالى أن يربِّي بها خلقه، وأمَّا النسخ في الاصطلاح: فهو رفع حكمٍ شرعيٍّ بدليلٍ شرعيٍّ متأخِّرٍ عنه[٥٦].

والفرق واضح بين التدرُّج والرفع حتَّى في اللغة؛ فلا يحتاج إلى مزيد توضيح.

ويبدو أنَّ العلماء قد ولعوا ولوعًا شديدًا بهذه المسألة (وهو موقفهم من النسخ) حتَّى إنَّهم انقسموا على ثلاثة مذاهب مأخوذة من اثنتين، وهي كما يأتي:

الأوَّل: قال بعض العلماء بوقوع النسخ بشكلٍ كبيرٍ جدًّا، حتَّى إنَّهم قطَّعوا أوصال الآية الواحدة، فزعموا أنَّ أوَّلها منسوخ وآخرها ناسخ، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٥٧].

فإنَّ آخر الآية يدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو بذلك ناسخ لأوَّلها عند ابن العربيّ مثلا[٥٨].

الثاني: ما مثَّله أبو مسلم الأصفهانيّ بإنكاره وقوع النسخ في القرآن الكريم، وسمَّاه تخصيصا؛ تجنُّبًا منه- كما ظنَّ- لإبطال حكمٍ قرآنيٍّ أنزله الله تعالى[٥٩].

الثالث: ومن العلماء من أقرَّ بوقوع النسخ في القرآن الكريم، إلَّا أنَّهم قد اقتصروا على عدد قليل من الآيات[٦٠]، ومن المحدثين من اقتصر به على آية واحدة فقط، وهو أستاذ الفقهاء والعلماء آية الله العظمى السيِّد أبو القاسم الخوئيّ قدس سره[٦١]، واشترط العلماء للنسخ شروطًا عدَّة يجب تحقُّقها في الناسخ والمنسوخ على حدٍّ سواء؛ لكي يضيقوا من دائرته في القرآن الكريم.

والمتأمِّل في تفسير العلَّامة الحِلِّيّ قدس سره يجد إشارات إلى نسخ بعض الآيات، ومن ذلك:

١. في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[٦٢].

فقد أشار العلَّامة الحِلِّيّ إلى اختلاف المفسِّرين فيما أُريد من الانفاق في قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾، قال السديّ: نسخته آية الزكاة. وقال مجاهد: هو فرض ثابت. وقال قوم: هو أدب من الله ثابت غير منسوخ، وهو الأقوى؛ لأنَّه لا دليل على نسخها(٦٣).

ولا يخفى أنَّ العلَّامة الحِلِّيّ قد ارتكز هنا على أسس منطقيَّة وبرهانيَّة، إذ إنَّ عدم وجود الدليل يقضي ببطلان الحكم المنسوخ.

٢. وفي قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾(٦٤).

ذكر العلَّامة في تفسير (الحكمة)(٦٥): أنَّها علم القرآن: ناسخه، ومنسوخه، ومحكمه، ومتشابهه، ومقدِّمه، ومؤخِّره، وحلاله، وحرامه، وغير ذلك، وقيل: علم الدين، وقيل: النبوَّة، وقيل: الفهم، وقيل: الخشية، وقيل: العلم الذي تعظم منفعته وتجلُّ فائدته، وإنَّما سُمِّي العلم فائدة(٦٦)؛ لأنَّه يمتنع به من القبيح، لما فيه من الدعاء إلى الحسن والزجر عن القبيح، وهذا إنَّما يصحُّ لو كانت الأفعال تنقسم إلى الحسن والقبح العقليَّين، وخالفت السنَّة فيه(٦٧).

لا جرم أنَّ العلَّامة الحِلِّيّ قد أبان عن المراد من المفهوم القرآني (الحكمة)، جاعلًا الناسخ والمنسوخ مصداقًا من مصاديقه المتنوِّعة التي تتَّصل بعلوم القرآن.

ثانيًا: أسباب النزول

إنَّ معرفة أسباب النزول يعين كثيرًا على فهم المراد من الآية أو الآيات النازلة بأسبابها، فإنَّ العلم بالسبب يورث العلم بالمسبَّب، وأنَّه لا يمكن تفسير الآية من دون الوقوف على قصَّتها وبيان نزولها، فبيان النزول طريق قويّ في فهم معاني القرآن(٦٨).

إذًا مفهوم سبب النزول هو: ما نزلت الآية أو الآيات من أجله، مجيبةً عنه أو حاكيةً له، أو مبيِّنةً لحكمه بقيد زمن وقوعه(٦٩).

وقد عوَّل العلَّامة الحِلِّيّ كثيرًا على الروايات والأخبار لمعرفة أسباب نزول الآيات القرآنيَّة الكريمة؛ ولذلك كان يعتمد الروايات التي تروى عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أو الائمَّة عليهم السلام في معرفة أسباب النزول، فهو يعتمد على قرينة أسباب النزول بوصفها من قرائن السياق التي تكشف عن المعنى، وتقرِّب الدلالة.

وهنا نذكر بعض الأمثلة التي أوردها في تفسيره:

١. في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ﴾(٧٠).

ذكر العلَّامة الحِلِّيّ ضمن وجوه مخالفة السنَّة لنصِّ الكتاب والسنَّة أنَّ هذه الآية نزلت يوم الخندق(٧١)، لـمَّا اشتدَّت المخافة، وحوصر المسلمون في المدينة، واستدعاهم الله تعالى الصبر، ووعدهم بالنصر، وهو استفهام في معنى الخبر؛ لأنَّ تقديره بل حسبتم(٧٢).

٢. في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(٧٣).

قال العلَّامة الحِلِّيّ: هذا القتال في الشهر الحرام هو ما عابه المشركون على المسلمين لـمَّا قتَل عبد الله بن جحش وأصحابه عمر بن الحضرميّ لـمَّا وصل من الطائف في عِيرٍ في

آخر جمادى الآخرة وأَخذِهم العِير[٧٤]، وهو أوَّل من قُتل من المشركين فيما روي، وأوَّل فَيءٍ أصابه المسلمون، وهذا يصحُّ لو كان العبد فاعلًا، وخالفت السنَّة فيه[٧٥].

٣. وفي قولـه تعالى: ﴿وَيَسْـأَلُونَكَ عَـنِ الْـمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَـاء فِي الْـمَحِيـضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّـىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِـنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْـمُتَطَهِّرِينَ﴾[٧٦].

قال العلَّامة الحِلِّيّ: في تفسـير ﴿الْـمُتَطَهِّرِينَ﴾ يعني الماء[٧٧]، وأسند التطهير إليهم، وإنَّما يصحُّ لو كان العبد فاعلًا، وخالفت السنَّة فيه[٧٨].

٤. وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَـاء فَبَلَغْـنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُـنَّ إِذَا تَرَاضَوْاْ بَيْنَهُم بِالْـمَعْرُوفِ ذَلِـكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[٧٩].

ففـي قوله تعالى: ﴿إِذَا تَرَاضَـوْاْ﴾ قال العلَّامة الحِلِّيّ: أسـند التراضي إليهم، وهذه الآية قيل نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته أن ترجع إلى الزوج الأوَّل لـمَّا طلَّقها وخرجـت من العـدَّة وأراد الرجوع بعقد آخر على نكاح آخـر، فمنعه من ذلك، وقيل: نزلـت في جابر بن عبـد الله عضل بنت عمٍّ له. قال الشـيخ رحمه الله: والوجهان لا يصحَّان عـلى مذهبنا؛ لأنَّ عندنا أنَّه لا ولاية للأخ، ولا لابن العمِّ عليها، وإنَّما هي وليَّة نفسـها، فـلا تأثير لعضلها، بل الآية محمولة على الـمُطلِق؛ لأنَّها خطاب للمطلِّقين بقوله: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَـاء﴾ نكايةً قال: ﴿فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ﴾[٨٠]، بـأن تراجعوهنَّ عند قرب انقضاء عدَّتهن، ولا رغبة لكم فيهنَّ، وإنَّما تريدون الإضرار بهنَّ، ويجوز حمل العضل على الجبر والحيلولـة بينهـنَّ وبين التزويـج من غير ولايـة، وكلُّ هذا يصحُّ لـو كان العبد فاعلًا، وخالفت السنَّة فيه[٨١].

هنا يتبيَّن لنا أهميَّة سبب النزول في بيان الحكم الشرعيّ، فعلى مبنى الأماميَّة بيَّن العلَّامة الحِلِّيّ أنَّ ما قيل من سبب نزول للآية لايصحُّ؛ إذ لا ولاية للأخ أو ابن العمِّ، وبيَّن في ذلك مخالفة مذاهب السنَّة والجماعة لهذا الحكم الشرعيّ.

رابعًا: القصص القرآنيّ

إنَّ القرآن الكريم يسعى لوضع القضايا الحياتيَّة الكبرى بصورة محسوسة وملموسة بين يدي الجميع، ويُعلن للناس عامَّة عن حقائقهم وتعليماتهم ويُفهمهم بها بما يتَّفق، وصِدق القرآن الكريم وإعجازه معتمدًا على قضايا وأحداث حيَّة وحسَّاسة تخصُّ تاريخ الشعوب السالفة، لهذا لا يريد القرآن الكريم من سرد قضيَّة أو قصَّة تاريخية منح نفسه الطابع التاريخيّ على ما هو معروف بين مناهج المؤرِّخين في بسط القضايا التاريخيَّة من دون توجُّه إلى الناحية التربويَّة فيها، وإنَّما نجد القرآن الكريم في مباحثه التاريخيَّة يتوخَّى المسائل التربويَّة والتعليميَّة، ويفتِّش عن هذه الجوانب في طوايا التاريخ وصفحاته، وهو الوجه الغالب عليه، ويستخلص منها مضامين إيمانيَّة وعباديَّة، فيتَّخذها جسرًا بين الهدف والمتلقِّي.

فالقصَّة في القرآن الكريم أخذت حيِّزًا كبيرًا في البحوث القرآنيَّة، إذ «يشكِّل القصص جزءًا كبيرًا من القرآن الكريم، وليس المراد من القصص في القرآن الإمتاع...، ولكن لإلقاء الدروس... كذلك، التي تكفل لمن وعاها وعمل بمقتضاها الاهتداء إلى صراط العزيز الحميد»[٨٢]، فنستطيع أن نستنتج من هذا القول الغرض الكلِّي للقصص القرآنيّ، وهو غرض دينيّ بحت، يتلخَّص بهداية البشريَّة لما فيه صلاحها وسعادتها، وإن اندرجت تحته أغراض أخرى[٨٣].

وبما أنَّ تفسير الإيضاح اعتمد المباني الكلاميَّة والعقليَّة، نجد مساحة القصَّة القرآنيَّة

بين طيَّاته قليلة؛ لأنَّها تحتاج إلى سرد قصصيّ وحوار بين شـخصيَّات، ومضامين لم يكن التفسير العقليّ الساحة المثلى لإظهار هذا القسم من علوم القرآن، ومع ذلك فإنَّ العلَّامة الحِلِّيّ، بما أنَّه اعتمد على بعض التفاسـير كتفسـير التبيان لشيخ الطائفة، فإنَّه قد أشار إلى بعض القصص القرآنيَّة، ومنها:

١. في قولـه تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِـن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْـمَوْتِ فَقَـالَ لَـهُـمُ اللهُ مُوتُـواْ ثُـمَّ أَحْيَاهُـمْ إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْـلٍ عَلَى النَّـاسِ وَلَـكِنَّ أَكْثَـرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ﴾[٨٤].

قال العلَّامة الحِلِّيّ: قيـل: مؤتلفة القلوب لم يخرجوا عن تباغض، وقيل: وهم عدد كثير، فقال ابن عباس: كانوا أربعين ألفًا، وقيل: أربعة آلاف، وقيل: ثمانية آلاف، وقيل: بضعـة وثلاثون ألفًا، والظاهر أنَّهم اكثر من عشرة آلاف؛ لأنَّ فعول للكثرة، وهو مازاد على عشرة، والناقص يُقال فيه آلاف، قيل: إنَّهم فرُّوا من الطاعون الذي وقع بأرضهم، وقيـل: فـرُّوا من الجهاد[٨٥]، وهذا خبر إنَّما يعلم صدقه لـو امتنع الكذب على الله تعالى، وخالفت السنَّة فيه[٨٦].

ووجه مخالفة السنَّة هنا، أنَّهم جوَّزوا الكذب على الله تعالى في إخباره، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

٢. وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْـمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَـى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّـهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَـمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[٨٧].

نقل العلَّامة الحِلِّيّ رواية الإمام الباقر عليه السلام في بيان شـخصيَّة النبيّ المقصود في قوله

تعالى: ﴿إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ﴾، إذ قال الإمام عليه السلام: (إنَّه سمويل)[٨٨]، وقال قتادة: إنَّه يوشع بن نون، وقال السدي[٨٩]: إنَّه شمعون سمَّته أمّه بذلك؛ لأنَّ الله تعالى سَمِع دعاءها[٩٠] فيه، وهذا خبر إنَّما يعلم صدقه لو امتنع الكذب على الله تعالى، وخالفت السنَّة فيه[٩١]؛ لأنَّهم لا يمنعون الكذب عليه تعالى جلَّ شأنه.

٣. وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلآئِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٩٢].

ففي قوله تعالى: ﴿أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، وروي عن عليّ عليه السلام أنَّه قال: السكينة التي كانت فيه ريح هفَّافة لها وجه كوجه الإنسان، وقال مجاهد: لها رأس كرأس الهرَّة، وروي ذلك في أخبارنا. وقال وهب: روح من الله تكلِّمهم بالبيان عند وقوع الاختلاف[٩٣]، ويرى العلَّامة الحِلِّيّ بعد عرضه هذه الأخبار بأنَّه: خبر إنَّما يعلم صدقه لو امتنع الكذب على الله تعالى، وخالفت السنَّة فيه[٩٤].

وأمَّا في قوله تعالى: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ﴾، قال ابن عبَّاس وقتادة والسدي: إنَّ البقيَّة هي عصا موسى ورضاض[٩٥] الألواح[٩٦]، وهو المرويُّ عن الإمام الباقر عليه السلام، وقال الحسن: كان فيه التوراة وشيء من ثياب[٩٧] موسى، وقال الإمام الباقر عليه السلام: (التابوت هو الذي وضعت أمُّ موسى فيه موسى حين القته في اليمِّ)، وهذا خبر إنَّما يعلم صدقه لو امتنع الكذب على الله تعالى، وخالفت السنَّة فيه[٩٨].

٤. وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٩٩].

ذَكَر العلَّامة الحِلِّيّ في سبب سؤال إبراهيم عليه السلام، ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام، وهو قول الحسن وقتادة والضحَّاك: إنَّه رأى جيفة قد تمزّقها السباع تأكل منها سباع البرِّ وسباع الهواء ودوابُّ البحر، فسأل الله تعالى أن يُريه كيف يحييه[١٠٠]، وقال قومٌ: إنَّما سأله؛ لأنَّه أحبَّ أن يعلم ذلك علم عيان بعد أن كان عالمًا به من جهة الاستدلال، وهذا إنَّما يصحُّ لو كان الله تعالى يفعل لغرضٍ وغايةٍ، وخالفت السنَّة فيه[١٠١].

وذَكَر أيضًا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ قصَّة النبيّ إبراهيم عليه السلام في ذبح الطيور الأربعة، فلمَّا توعَّده نمرود بالقتل إذا لم يحيي الله تعالى الموتى بحيث يشاهده، سأل إبراهيم عليه السلام الرؤية بالعيان؛ ليطمئنَّ قلبه إلى أنَّه لايقتله الجبَّار[١٠٢]، وليس المراد الشكُّ في أنَّ الله تعالى قادر على إحياء الموتى؛ لأنَّه كفر لا يجوز على الأنبياء؛ لأنَّه تعالى لا يجوز أن يبعث إلى خلقه من هو جاهل بما يجوز عليه تعالى وما لايجوز؛ لأنَّه تعالى لـمَّا قال: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ مقرِّرًا له، قال ابراهيم عليه السلام: ﴿بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾، فبيَّن أنَّه عارفٌ بذلك مصدِّقًا به، وإنَّما سأل تخفيف المحنة بمقاسات الشبهات ودفعها عن النفس، وهذا إنَّما يصحُّ لو كانت أفعاله معلَّلة بالأغراض، وخالفت السنَّة فيه[١٠٣].

ولا بدَّ من الاشارة إلى أن صدر كلام العلَّامة الحِلِّيّ في جوابه هذا يُغاير ما يأتي به في آخر الكلام، إذ يقول: «إنَّما سأل تخفيف المحنة بمقاسات الشبهات ودفعها عن النفس، إذ تخفيف المحنة بمقاسات الشبهات يلائِم عين اليقين، ولا يثير توعُّد نمرود أيَّة شبهة».

وفي بيان قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ﴾، قال ابن عبَّاس: كانت أربعة، وقال السدي: سبعة، وقال مجاهد: كلُّ جبل على العموم بحسب الإمكان، كأنَّه قيل: كلُّ فرقة على جبل يمكنك التفرقة عليه، وعن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام كانت عشرة[١٠٤]، وفي رواية أخرى: سبعة[١٠٥]، هذا أمر إنَّما يصحُّ لو كان العبد فاعلًا، وخالفت السنَّة فيه[١٠٦].

يتبـيَّن ممَّا عرضناه من نـماذج تطبيقيَّة في تعاطي العلَّامة الحِلِّيّ مـع معطيات القصَّة القرآنيَّة، أنَّه قد وظَّف عناصر القصة في استجلاء مبانيه الكلاميَّة التي هي مباني الأماميَّة في ذلك.

خامسًا: القراءات

لا يكاد يخلو كتاب تفسير من التعرُّض لذِكر القراءات المتعدِّدة للكثير من مفردات القرآن، وهذه القراءات تُنسب إلى قرَّاءٍ معيَّنين، وقد أُحصي منها عشرٌ مشهورة، أو سبعٌ هي الأَشـهر، وإلَّا فإنَّ عدد القراءات الشـاذَّة تزيد عن ذلك بكثير، فكيف نشـأت هذه القراءات؟ وكيف يمكن التعامل معها في القراءة، خاصَّةً في الصلاة؟

١. منشأ القراءات:

هناك **اتِّجاهان** في شأن نشوء القراءات القرآنيَّة ومصدرها:

الأوَّل: إنَّ المصاحف، ومنها المصحف بالرسم العثمانيّ قد كُتبت مجرَّدةً عن التنقيط والحـركات الإعرابيَّـة، وهذا أدَّى إلى الاختلاف في القـراءة، نتيجة عدم حفظ المعلِّمين القراءة الصحيحة بدقَّة، واعتماد الرسـم الذي يَحتمـل وجوهًا عدَّة؛ لخلوِّه من الإعجام والإعـراب، فالقـراءات على هـذا الوجه تكون اجتهاديَّـة محضة، أو مرويَّـة عن القرَّاء المشهورين، من دون أن يُعلم الزمن الذي حصل فيه الاختلاف، وكيف بدأ؟

الثـاني: اتِّجاه يزعم أنَّ القراءات مرويَّة بالأسـانيد عن الرسـول صلى الله عليه وآله وسلم بصرف النظر عن كتابة المصحف الشريف، وقد ادَّعى بعضهم تواتر القراءات السبعة المشهورة[١٠٧].

وبناءً على هـذا، هناك اتِّجاه يذهب إلى أنَّ القراءات بين ما هو اجتهاد من القارىء، وبين ما هو منقول بخبر الواحد، مع اعترافه بأنَّ القران نزل على قراءة واحدة، على حين

يدَّعي أصحاب الاتِّجاه الثاني أنَّ القراءات كلّها قرآن؛ وذلك أنَّ نزل بقراءات متعدِّدة ومتواترة.

أدلة الاتِّجاه الأوَّل:

ما ورد في أخبارنا عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام في أنَّ القران نزل على حرفٍ واحد: منها ما رويَ عن الفضيل بن يسار، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنَّ الناس يقولون إنَّ القران نزل على سبعة أحرف، فقال عليه السلام: (**كذبوا أعداء الله، ولكنَّه نزل على حرفٍ واحدٍ من عند الواحد**)[١٠٨].

ومنها ما رويَ عن الإمام الباقر عليه السلام: (**إنَّ القران واحد، نزل من عند واحد، ولكنَّ الاختلاف يجيء من قِبَل الرواة**)[١٠٩].

ومنها ما رويَ عن سليمان بن صُرَد عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (**أتاني جبرئيل فقال: إقرأ القرآن على حرفٍ واحدٍ**)[١١٠].

ويدلُّ عليه أيضًا: إنَّ عثمان جمع الناس على قراءةٍ واحدةٍ، كما يقولون، فهو اعتراف ضمنيّ بأنَّ القرآن واحد، نزل بقراءةٍ واحدةٍ، وإلَّا لما كان له أن يمنع القراءات الأخرى، ويحمل الناس على قراءةٍ واحدةٍ.

وقد تبنَّى هذا الإتجاه أكثر من واحد من مصنِّفي أهل السنَّة، وصرَّحوا بأنَّ سبب الاختلاف في القراءات هو خلوّ المصاحف الأولى من النقط والشكل، فقد نُقل ذلك عن ابن أبي هاشم[١١١]، وابن جرير الطبريّ[١١٢]، وغيرهما.

أدلة الاتِّجاه الثاني:

استدلوا على الاتِّجاه الثاني بما رووه عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم[١١٣]، من أنَّ القران الكريم نزل

على سبعة أحرف[١١٤]، فزعموا أنَّ الأحرف السبعة هي القراءات السبعة المشهورة. حتَّى إنَّ بعضهم ادَّعى أنَّ عثمان بن عفَّان فرَّق هذه القراءات على المصاحف التي دوَّنها، لكي تحفظها الأمَّة كما نزلت من عند الله تعالى، وكما سُمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا هو سبب اختلاف رسوم مصاحف أهل الأمصار[١١٥].

والاستدلال برواية الأحرف السبعة على ما ذُكر غير تام: فإنَّ هذه الرواية معارضة بما روي عن أئمَّة أهل البيت عليهم السلام، وهم أعلم بما نزل فيه من أنَّ القرآن واحد، نزل من عند الواحد، على حرفٍ واحد، وأنَّ الاختلاف يأتي من قِبَل الرواة كما تقدَّم.

ومن **جهة ثانية**: لا دليل على أنَّ المراد بالأحرف السبعة القراءات السبعة، فإنَّ بعض الروايات فسَّرت الأحرف بأنَّها أساليب القرآن من الأمر والنهي والترغيب والترهيب والجدل والأمثال والقصص[١١٦]، ويظهر من روايات أخرى أنَّ الأحرف إشارة إلى معاني القرآن وتأويلاته، فقد رويَ عن أبي جعفر عليه السلام أنَّه قال: (**تفسير القران على سبعة أوجه، منه ما كان، ومنه ما لم يكن بعد، تعرفه الأئمَّة**)[١١٧].

ومن **جهة ثالثة**: فإنَّ روايات أحرف القرآن متضاربة، فبعضها يقول إنَّها سبعة، وبعضها يقول إنَّها خمسة، وبعضها يقول إنَّها أربعة، وربَّما ثلاثة، فلا يُعلم الصحيح منها. والنتيجة أنَّ مقولة تفسير الأحرف السبعة بالقراءات غير مقبولة، ولا يصحُّ الاعتماد عليها.

٢. حُجيَّة القراءات عند الإماميَّة

يكاد ينعقد إجماع الإماميَّة كانعقاد إجماع المسلمين على حجيَّة هذه القراءات وتواترها- سواء أعن النبيّ كانت أم عن أصحابها- وعلى جواز القراءة بها في الصلاة وغيرها، بشرط أن تكون ممَّا قُرِئ به في زمن المعصوم عليه السلام.

وهذا استعراض لجملةٍ من آراء علماء الإماميَّة المحقِّقين في هذه المسألة:

- نبدؤها برواية صحيحة رواها محمَّد بن يعقوب الكلينيّ بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام: (**إقرأوا كما يقرأ الناس، وأقرأوا كما عُلِّمتم**)[١١٨]، أي إنَّ الإمام الصادق عليه السلام يوصي أصحابه واتباعه أن يقرؤا مثل قراءة الناس وما شاع واشتُهر من القراءة بين ظهرانيهم، وأن يقرؤا كما عُلِّموا من قِبَل القرَّاء وغيرهم.
- قال الشيخ الطوسيّ، وهو يتحدَّث عن رأي الإماميَّة في الموضوع: واعلموا أنَّ العُرف في مذهب أصحابنا، والشايع من أخبارهم ورواياتهم، أنَّ القرآن نزل بحرفٍ واحدٍ على نبيٍّ واحدٍ، غير أنَّهم أجمعوا على جواز القراءة بما يتداوله القرَّاء، وأنَّ الإنسان مخيَّر بأيِّ قراءةٍ شاء قرأ، وكرهوا تجريد قراءة بعينها، بل أجازوا القراءة بالمجاز الذي يجوز بين القرَّاء، ولم يبْلغوا بذلك حدَّ التحريم والحظر[١١٩].
- وذهب الشهيد الأوَّل (ت ٧٨٦هـ) إلى أنَّ القراءات متواترة، ومُجمع على القراءة بها، وتابعه الخونساريّ في ذلك، ونفى الخلاف على حجيَّة السبع منهم مطلقًا، والثلاث المكمِّلة للعشر في الجملة، بل عدَّ تواترها بوجوهها السبعة عن رسول الله عند قاطبة أهل الإسلام[١٢٠].
- وقد انتهى السيِّد العامليّ إلى الإجماع على تواتر القراءات ونعتها به، وحكاه عن المنتهى والتحرير والتذكرة والذكرى والموجز الحاوي وغيره من أمَّهات كتب الإماميَّة ممَّا يقطع به تواترها حرفًا حرفًا، وحركةً حركةً[١٢١].
- وقد فصَّل أستاذ الفقهاء آية الله العظمى السيِّد الخوئيّ قدس سره القول في القراءات، فذهب إلى عدم حُجيَّتها، فلا يستند بها إلى الحكم الشرعيّ، إذ لم يتَّضح عنده

كون القراءات رواية، فلعلَّها اجتهادات في القراءة، ولكنَّه جوَّز الصلاة بها، نظرًا لتقرير المعصومين لها، وذلك يشمل كلَّ قراءة متعارفة زمن أهل البيت عليهم السلام، إلَّا الشاذَّة، فلا يشملها التقرير[١٢٢].

فبعد هذا كلِّه، ومن التفاتات العلَّامة الحِلِّيّ في القراءات، فإنَّه في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[١٢٣].

بيَّن العلَّامة الحِلِّيّ وجهَ قراءة ﴿وَصِيَّةً﴾ قال إنَّها تقرأُ بالنصب على تقدير فليُوصُوا وصية، وقُرِيء بالرفع، وتقديره كتب عليهم وصيَّة، وهذا أمرٌ إنَّما يصحُّ لو كان العبد فاعلًا، وخالفت السنَّة فيه[١٢٤].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَـٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١٢٥].

أشار العلَّامة الحِلِّيّ إلى معنى نُنشزها في قوله تعالى: ﴿إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾، إذ قال: «بالراء غير المعجمة[١٢٦]، وهو النشور، أي الحياة بعد الموت، نشر الميت إذا عاش لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾[١٢٧]، وقريء بالزاي، ومعناه نرفع بعضها فوق بعض[١٢٨]، خبر إنَّما يعلم صدقه لو امتنع الكذب على الله تعالى، وخالفت السنَّة فيه»[١٢٩]، فقد أفاد من سورة عبس في بيان معنى ﴿نُنشِزُهَا﴾، وكذلك بيَّن الوجه الآخر في قراءتها، مستندًا إلى الروايات والأخبار المتواترة مبيِّنًا فيها مخالفة السنَّة فيه.

سادسًا: التأويل

حظي معنى التأويل باهتمام المحقِّقين والمفسِّرين منذ عهد بعيد، وقيل فيه كلام كثير، وجاءت لفظة التأويل سبع عشرة مرَّة في القرآن، إحداها عند تقسيم آيات القرآن إلى مُحكم ومتشابَه[١٣٠]، أي في الآية السابعة من سورة آل عمران، يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾[١٣١]، ففي هذه الآية يُبيِّن الله تعالى أنَّ من في قلوبهم زيغ يتَّبعون الآيات المتشابهة، طلبًا للفتنة ورغبة في تأويل المتشابه، وهناك موضوعات مهمَّة في هذا البحث لا بدَّ من التعرُّض لها، وهي:

١. التأويل لغةً:

يبدو أنَّ الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت ١٧٣هـ) أوَّل من أشار إلى دلالة التأويل، فقال: «تفسير الكلام الذي تختلف معانيه، ولا يصحُّ إلَّا ببيان غير لفظه»[١٣٢]، فالتأويل مصدر التفعيل من (أَوَّلَ)، المزيد بحرف واحد.

قال الراغب: «التأويل من الأوَّل، أي الرجوع إلى الأصل، ومنه المؤول للموضع الذي يرجع إليه، وذلك ردُّ الشيء إلى الغاية المرادة منه...»[١٣٣].

وقال ابن الأثير في النهاية: «والتأويل: هو من الشيء يؤول إلى كذا، أي رجع وصار إليه...»[١٣٤]، وقال الفيوميّ في المصباح: «آل الشيء أوَّلا، ومآلا: رجع»[١٣٥].

٢. التأويل اصطلاحًا:

عرَّفه الطبرسيّ بقوله: «التأويل ردُّ أحد المحتمَلين إلى ما يُطابق الظاهر»، ثمَّ قال:

«وقيل: التفسير كشف المغطَّى، والتأويل انتهاء الشيء ومصيره، وما يؤول إليه أمره، والمعنى مأخوذ من قولهم عنيت فلانًا، أي قصدته، فكان المراد من قولهم عنى به كذا، قصد بالكلام كذا»[١٣٦].

وعرَّفه الزركشيّ (ت ٧٩٤هـ): بأنَّه: «...فكان التاويل صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني»[١٣٧]، ثمَّ قال: «وقيل أصله من الإيالة، وهي السياسة، فكأن المؤول للكلام يسوِّي الكلام، ويضع المعنى في موضعه»[١٣٨]، وقال السيوطيّ(ت ٩١١هـ): هو «ما ترك ظاهره لدليل»[١٣٩]، ثمَّ قال: «والتأويل إنَّما يُقبل إذا قام عليه دليل وكان قريبًا»[١٤٠]، أما البعيد فلا، كتأويل الحنفيَّة قوله تعالى: ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾[١٤١]، ستين مدًّا على أن يقدَّر مضاف... ووجه البعد اعتبار ما لم يذكر، وهو المضاف والغثء ما ذكر وهو العدد...»[١٤٢].

ويرى المحقِّق محمَّد السند أنَّ التأويل ما كان خفيًّا ولا ينسبق إليه الذهن، أو ما لا يهتدى إليه السامع بحسب موازين وقواعد اللغة والأدب والتفاهم الحواريّ[١٤٣].

ومن مصاديق التأويل في تفسير الإيضاح للعلَّامة الحِلِّيّ في قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾[١٤٤].

إذ أوَّلَ الكُرْسي بالعِلم، وأسند ذلك برواية الإمامين الباقر، والصادق عليهما السلام، ورواية ابن عبَّاس، وهو خبر إنَّما يعلم صدقه لو امتنع الكذب على الله تعالى، وخالفت السنَّة فيه[١٤٥].

وفي قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾[١٤٦].

إذ أوَّلَ الحكمة بعلم القرآن: ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدِّمه ومؤخِّره

وحلاله وحرامه وغير ذلك، وقيل علم الدين، وقيل النبوَّة، وقيل الفهم، وقيل الخشية، وقيل العلم الذي تعظم منفعته وتجلُّ فائدته، وإنَّما سمِّي العلم فائدة؛ لأنَّه يُمتنع به من القبيح؛ لما فيه من الدعاء إلى الحسن، والزجر عن القبيح، وهذا إنَّما يصحُّ لو كانت الأفعال تنقسم إلى الحسن والقبح العقليَّين، وخالفت السنَّة فيه[١٤٧].

نستخلص من ذلك أنَّ لعلوم القرآن في جهود العلَّامة الحِلِّيّ التفسيريَّة أثرًا واضحًا، وإن كان مختصرًا وموجزًا، إلَّا أنَّه أفاد منها في عرض مبانيه الكلاميَّة، ولاسيما في تفسير الإيضاح.

خاتمة البحث ونتائجه

يعـدُّ تفسـير (إيضـاح مخالفة السـنَّة لنصِّ الكتـاب والسـنَّة) من جملـة المصنَّفات التفسيريَّة للعلَّامة الحِلِّيّ، وهي: (نهج الإيمان في تفسير القرآن)، وهو ملخَّص الكشَّاف، والتبيـان، ومجمع البيـان، وغيرهما، و(القول الوجيز أو السرُّ الوجيز في تفسـير الكتاب العزيز). وقد صنَّف العلماء تفسير الإيضاح تارةً ضمن كتب التفسير، وتارةً ضمن كتب الجدل والاحتجاج، والذي وصل إلينا منه تفسير سورة البقرة من الآية (٢١٢) إلى نهاية السورة، وسـورة آل عمران كاملة، وعند دراسة الباحث لهذا التفسير الفريد من نوعه، وقف على جملة من النقاط، هي:

١. إنَّ العلَّامـة الحِلِّيّ أراد أن يبيِّن حقيقة عظيمـة المضمون، جليلة البيان، مفادها أنَّ الأشـاعرة الذين يمثِّلون أغلب السـنَّة، قد خالفوا السنَّة مخالفة ظاهرة، إذ نسـبوا إلى الخالق قبح الأفعال والصفات، وهو انحـراف فكريّ خطير، ومن هنا نجد العلَّامة الحِلِّيّ يؤكِّد هذه الفكرة الخطيرة والمدمِّرة في تفسـيره، فلا تجد مسألة إلَّا ذيَّلها بقوله: «وهذا يصحُّ لو كان العبد فاعلًا وخالف السنَّة فيه، إذ نسـبت القبح والكذب لله عزَّ وجلَّ»، وبعبارة أخرى كثـيرًا ماردَّدها: «وهذا يعلم صدقه لو امتنع الكذب على الله تعالى، وخالفت السنَّة فيه».

٢. تكاملت المعرفة الموسـوعيَّة عند العلَّامة الحِلِّيّ بتصنيفاته التفسـيريَّة، ولاسيما هذا التفسير، فالمعروف أنَّه قد صنَّف في أغلب حقول المعرفة.

٣. نجد في تفسير الإيضاح مناهج تفسيريَّة متعدِّدة قد أحسن العلَّامة الحِلِّيّ في استعمالها، كالمنهج اللغويّ، والمنهج الأثريّ، والمنهج العقليّ والكلاميّ الذي يعدُّ ثمرة تفسيره، فقد أجاد في استعماله، ولم أجد- بحسب تتبُّعي- تفسيرًا عقليًّا كلاميًّا متقنًا بمثل هذا الاتقان والضبط، كتفسير الإيضاح.

٤. أراد العلَّامة الحِلِّيّ في ضوء تفسير الإيضاح الردَّ على أصحاب بعض المعتقدات الفاسدة والمنحرفة لبعض المذاهب الإسلاميَّة، فأثبت مخالفة عقائدهم لنصوص الكتاب والسنَّة باستدلالات منقطعة النظير.

٥. تضمَّن تفسير الإيضاح لفتات ونكات لغويَّة ونحويَّة وبلاغيَّة اثبتت مقدرته الفائقة في هذه العلوم.

٦. يعدُّ تفسير الإيضاح من التفاسير المقارنة التي تضمَّنت أقوال مفسِّري الشيعة وردودهم، فضلًا عن غيرهم، كالشيخ الطوسيّ والطبرسيّ والطبريّ والزمخشريّ والرازيّ، وهذا إن دلَّ على شيء، فإنَّما يدلُّ على سعة اطِّلاع العلَّامة الحِلِّيّ، وتمكُّنه من عرض آراء الآخرين؛ لغرض بيان الحقِّ والحقيقة.

٧. وصف بعض علماء علم الرجال والبلوغرافيا هذا التفسير بـ(الغرابة)، و(العجيب)؛ وذلك لمنهجيَّته الفريدة، وندرة الموضوع والأبواب فيه.

٨. خلا التفسير من بعض البحوث الروائيَّة والتاريخيَّة والفقهيَّة، وإن كانت هناك إشارات يسيرة لها؛ وذلك لأنَّ التفسير خصِّص للردِّ بأمور العقيدة والاحتجاج بها، وبيان المباني الكلاميَّة وإيضاحها، فاستغنى عن تلك البحوث المطوَّلة.

٩. على الرغم من فقدان الجزء الأكبر من هذا التفسير، رسم البحث صورة

متكاملة له بعد استقرائه استقراءً معرفيًّا مميَّزًا.

١٠. عـرض العلَّامة الحِـلِّيّ بطريقته المعروفـة في التحليل والبرهان والاسـتدلال مخالفات كبيرة لنصِّ الكتاب والسنَّة لبعض المذاهب الإسلاميَّة.

والحمد لله ربِّ العالمين.

هوامش البحث

(١) ابن داود، الرجال: ٧٨.

(٢) الحرّ العامليّ، أمل الآمل: ٢/ ٨١.

(٣) النوريّ، المستدرك: ٣/ ٤٦١.

(٤) الأفنديّ، رياض العلماء: ١/ ٣٦٥.

(٥) الحرّ العامليّ، أمل الآمل: ٢/ ٨٥.

(٦) العلَّامة الحِلِّيّ، تفسير الإيضاح، تفسير سورة البقرة، الآية: ٢١٢، للمزيد يُنظر: العلَّامة الحِلِّيّ، كشف المراد: ٣٠٥.

(٧) المصدر نفسه، الآية: ٢١٢.

(٨) المصدر نفسه، الآية: ٢١٣.

(٩) المصدر نفسه، الآية: ٢١٣. للمزيد يُنظر: العلَّامة الحِلِّيّ، كشف المراد: ٢٠٦.

(١٠) المصدر نفسه، الآية: ٢١٣، وللمزيد يُنظر: المصدر نفسه: ٣١٧-٣١٨.

(١١) العلَّامة الحِلِّيّ، تفسير الإيضاح، البقرة، الآية: ٢١٤، وللمزيد يُنظر، الطوسيّ، التبيان: ٢/ ١٩٩، الطبرسيّ، مجمع البيان: ٢/ ٥٤٦، الطباطبائيّ، الميزان: ٢/ ١٥٩.

(١٢) المصدر نفسه، تفسير سورة البقرة، الآية: ٢٢٠، وللمزيد يُنظر: الطوسيّ، التبيان: ٢/ ٢١٧.

(١٣) المصدر نفسه، تفسير سورة البقرة، الآية: ٢٤٦، وللمزيد يُنظر: العلَّامة الحِلِّيّ، منهج اليقين، ٣٠١، وكشف المراد: ٣٦٦، الطوسيّ، تفسير التبيان: ٢/ ٢٩١-٢٩٢.

(١٤) تفسير الإيضاح، البقرة، الآية: ٢٤٨، وللمزيد يُنظر: ابن ادريس الحِلِّيّ، تلخيص التبيان: ٢/ ٢٩٢.

(١٥) المصدر نفسه، البقرة، الآية: ٢٥١، وللمزيد يُنظر: العلَّامة الحِلِّيّ، كشف المراد: ٣٠٧.

(١٦) المصدر نفسه، سورة البقرة، الآية: ٢٥٣، وللمزيد يُنظر: الجوينيّ، لمع الأدلَّة: ٩٧.

(١٧) المصدر نفسه، البقرة، الآية: ٢٥٤، وللمزيد يُنظر: الإيجيّ، المواقف: ٣٢٠، العلَّامة الحِلِّيّ، كشف المراد: ٣٤١.

(١٨) المصدر نفسه، البقرة: ٢٦٢. وللمزيد يُنظر: العلَّامة الحِلِّيّ، منهاج اليقين: ٣٤٨-٣٤٩.

(١٩) المصدر نفسه، البقرة، الآية: ٢٦٣، للمزيد يُنظر: الشهرستانيّ، الملل والنحل: ٦٦-٦٨، الإيجيّ، المواقف: ٢٧٩-٢٨٠.

(٢٠) المصدر نفسه، البقرة، الآية: ٢٧٧، وللمزيد يُنظر: الشهرستانيّ، الفَرْق بين الفِرَق: ٣٨٤-٣٨٧، التفتزانيّ، شرح المقاصد: ٥/ ١٧٦، القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة: ٧٠٢، الطوسيّ، تفسير التبيان: ٢/ ٣٦٢، حقّ اليقين: ٢٢٤.

(٢١) العلَّامة الحِلِّيّ، تفسير الإيضاح، البقرة، الآية: ٢٨٦، وللمزيد يُنظر: الطوسيّ، التبيان: ٢/ ٢٨٥، الطباطبائيّ، الميزان: ٢/ ٤٤٣-٤٤٤، الطبرسيّ، مجمع البيان: ٢/ ٦٩١، الرازيّ، التفسير الكبير:٧/ ١٤٩، الآلوسيّ، روح المعاني: ٣/ ٦٩، الزمخشريّ، الكشَّاف: ١/ ٣٣٢.

(٢٢) تفسير الإيضاح، آل عمران، الآية: ٢٦، وللمزيد يُنظر: العلَّامة الحِلِّيّ، كشف المراد: ٣٦٤، التفتزانيّ، شرح المقاصد: ٥/ ٢٤٧-٢٥٢، الجوينيّ، شرح الأصول الخمسة: ٧٥٢.

(٢٣) المصدر نفسه، آل عمران، الآية: ٣٧، وللمزيد يُنظر: العلَّامة الحِلِّيّ، منهاج اليقين: ٢٨٣، الرازيّ، التفسير الكبير: ٨/ ٣٢-٣٣، الطبرسيّ، مجمع البيان: ٢/ ٧٤٠.

(٢٤) مقدِّمة تفسير الإيضاح، تصحيح وتحقيق، بي بي سادات رضى بهابادي: ١٠-٤٧.

(٢٥) المصدر نفسه: ١٠-٤٧.

(٢٦) البقرة: ٢١٢.

(٢٧) آل عمران: ١٤.

(٢٨) الطوسيّ، التبيان: ٢/ ١٩٢.

(٢٩) الكهف: ٤٦.

(٣٠) ذكر الطوسيّ هذا التأويل والقول الأوَّل مع عبارات مختلفة، واستحسن الطوسيّ كليهما. يُنظر: التبيان: ٢/ ١٩١-١٩٢، الطبرسيّ، مجمع البيان: ٢/ ٥٧٤.

(٣١) الرازيّ، التفسير الكبير: ٦/ ٧. وقد أشار الزمخشريّ إلى هذا في أحد أقواله. يُنظر: الكشاف: ١/ ٢٥٤.

(٣٢) المصدر نفسه.

(٣٣) الرازيّ، التفسير الكبير: ٦/ ٧. وقد أشار الزمخشريّ إلى هذا في أحد أقواله. يُنظر: الكشَّاف: ١/ ٢٥٤.

(٣٤) الآلوسيّ، روح البيان: ٢/ ١٠٠.

(٣٥) الطبريّ، جامع البيان: ٢/ ٣٣٣، الطباطبائيّ، الميزان: ٢/ ١١٠-١١١.

(٣٦) تفسير الإيضاح: ٥٣، البقرة، الآية: ٢١٢.

(٣٧) يُنظر: الغزاليّ، الاقتصاد في الاعتقاد: ١٨٦-١٨٩.

(٣٨) البقرة: ٢١٣.

(٣٩) الإيضاح: ٥٥، هنا اختار الطبريّ والزمخشريّ والرازيّ القول الأوَّل. يُنظر: جامع البيان: ٢/ ٣٣٤-٣٣٦، الكشَّاف: ١/ ٢٥٥-٢٥٦، التفسير الكبير: ٦/ ١١-١٢ بينما ذكر الطوسيّ والطبرسيّ والآلوسيّ كِلا القولين. يُنظر: التبيان: ٢/ ١٩٢، مجمع البيان: ٢/ ٥٤٣، روح المعاني: ٢/ ١٠٠، واختار الطباطبائيّ مذهبًا جديدًا في تفسير هذه الآية، إذ يقول: وأصل الكلمة من أَمَّ يأُمُّ إذا قصد، فأطلق لذلك على الجماعة، لكن لا على كلِّ جماعة، بل على جماعة كانت ذات مقصد واحد وبغية واحدة هي رابطة الوحدة بينها، وهو المصحَّح لاطلاقها على الواحد وعلى سائر معانيها إذا أُطلقت. وكيف كان، فظاهر الآية يدلُّ على أنَّ هذا النوع قد مرَّ عليهم في حياتهم زمان كانوا على الاتِّحاد والاتِّفاق، وعلى السذاجة والبساطة، لا اختلاف بينهم بالمشاجرة والمدافعة في أمور الحياة، ولا اختلاف في المذاهب والآراء، والدليل على نفي الاختلاف قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾، فقد رتَّب بعثة الأنبياء وحكم الكتاب في مورد الاختلاف على كونهم أمَّة واحدة، فالاختلاف في أمور الحياة ناشئ بعد الاتِّحاد والوحدة، والدليل على نفي الاختلاف الثاني قوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾، فالاختلاف في الدين إنَّما نشأ من قبل حملة الكتاب بعد إنزاله بالبغي. ونلاحظ ردَّ العلَّامة الطباطبائيّ على سائر الآراء بعد إبداء رأيه الخاص. يُنظر: الميزان: ٢/ ١٢٣-١٢٧.

(٤٠) البقرة: ٢٥٩.

(٤١) تفسير الإيضاح: ١٣٤.

(٤٢) تفسير الإيضاح: ١٣٥، للمزيد يُنظر: الطوسيّ، التبيان: ٢/ ٣٢٣، الطبرسيّ: مجمع البيان: ٢/ ٧٤١.

(٤٣) المصدر نفسه: ١٣٥.

(٤٤) تفسير الإيضاح: ١٣٥، للمزيد يُنظر: الطوسيّ، التبيان: ٢/ ٣٢٤، الطبرسيّ، مجمع البيان: ٢/ ٧٤١.

(٤٥) المصدر نفسه: ١٣٥.

(٤٦) عبس: ٢٢.

(٤٧) تفسير الإيضاح: ١٣٦، للمزيد يُنظر: الطبرسيّ، مجمع البيان ٢/ ٦٣٧، ابن ادريس، تلخيص التبيان: ٢/ ٣٢٥.

(٤٨) تفسير الإيضاح: ١٣٦.

(٤٩) المصدر نفسه: ١٣٦

(٥٠) الإيضاح: ١٣٦.

(٥١) المصدر نفسه، ١٣٦.

(٥٣) المصدر نفسه، ١٣٦.

(٥٣) المصدر نفسه، ١٣٦.

(٥٤) القرطبيّ، الجامع لإحكام القرآن: ٢/ ٦٢، السيوطيّ، الاتقان: ٢/ ٢٠، الآلوسيّ، روح المعاني: ٤/ ٢٣١، الزرقانيّ، مناهل العرفان: ١/ ١٩.

(٥٥) هبة الله بن سلامة، الناسخ والمنسوخ: ٤، السيوطيّ، الاتقان: ٢/ ٢٠، الحازميّ، الإعتبار في الناسخ والمنسوخ من الإعتبار: ١٩.

(٥٦) يُنظر: الشوكانيّ، إرشاد الفحول: ١٧١، الزرقانيّ، مناهل العرفان: ٢/ ٧٢، عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه: ٢٥١.

(٥٧) المائدة: ١٠٥.

(٥٨) يُنظر: ابن العربي، أحكام القرآن: ١/ ٢٠٥.

(٥٩) يُنظر: الزركشيّ، البرهان في علوم القرآن: ٢/ ٣٣، الزرقانيّ، مناهل العرفان: ٢/ ٨١.

(٦٠) السيوطيّ، الاتقان: ٢/ ٢٠-٢٤.

(٦١) يُنظر: الخوئيّ، البيان في تفسير القرآن: ٢٩٦-٤٠٣.

(٦٢) البقرة: ٢١٩.

(٦٣) تفسير الإيضاح: ٧٤، ويُنظر: الطوسيّ، التبيان: ٢٣/ ٢١٣، ونلاحظ أنَّ نسخ ذلك بآية الزكاة قول رواه المفسِّرون عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، لكنَّ هذا رفع لظاهر إطلاق الآية في الوجوب، أمَّا أصل استحباب إنفاق العفو فثابت غير منسوخ. يُنظر: هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن: ٢/ ٣١٨.

(٦٤) البقرة: ٢٦٩.

(٦٥) قال السيِّد الطباطبائيّ في معنى الحكمة: الحكمة بكسر الحاء على فعله بناء نوع يدلُّ على نوع المعنى، فمعناه النوع من الإحكام والإتقان، أو نوع من الأمر المحكم المتقن الذي لا يوجد فيه ثلمة ولا فتور، وغلب استعماله في المعلومات العقليَّة الحقَّة الصادقة التي لا تقبل البطلان والكذب البتَّة. يُنظر: الميزان: ٢/ ٣٩٥.

(٦٦) في تفسير التبيان: ٢/ ٣٤٩ إنَّما قيل للعلم حكمة؛ لأنَّه يمتنع به من القبيح.

(٦٧) تفسير الإيضاح: ١٤٩.

(٦٨) الزركشيّ، البرهان في علوم القرآن: ١/ ٢٢، السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ١/ ١٠٨.

(٦٩) د. صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن، ١٣٢.

(٧٠) البقرة: ٢١٤.

(٧١) قيل: نزلت يوم الخندق لمَّا اشتدَّت المخافة، وحوصر المسلمون في المدينة، فدعاهم الله إلى الصبر، ووعدهم بالنصر، عن قتادة والسدي، وقيل: نزلت في حرب أُحد لمَّا قال عبد الله بن أُبي لأصحاب النبيّ ﷺ: إلى متى تقتلون أنفسكم؟ لو كان نبيًّا ما سلَّط الله عليه الأسر والقتل؟! وقيل: نزلت في المهاجرين- من أصحاب النبي ﷺ- إلى المدينة، إذ تركوا ديارهم وأموالهم ومسَّهم الضرّ، عن عطا. يُنظر: الطبرسيّ، مجمع البيان: ٢/ ٥٤٦، وللمزيد راجع: الطبريّ، جامع البيان: ٢/ ٣٤١-٣٤٢.

(٧٢) تفسير الإيضاح: ٦١.

(٧٣) البقرة: ٢١٧.

(٧٤) قال المفسِّرون: بعث رسول الله ﷺ سريَّة من المسلمين، وأمَّر عليهم عبد الله بن جحش الأسديّ، وهو ابن عمَّة النبي ﷺ، وذلك قبل قتال بدر بشهرين، على رأس سبعة عشر شهرًا من مقدِّمة المدينة، فانطلقوا حتى هبطوا نخلة، فوجدوا بها عمرو بن الحضرميّ في عِير تجارة لقريش، في آخر يوم من جمادى الآخرة، وكانوا يرون أنَّه من جمادى، وهو رجب، فاختصم المسلمون، فقال قائل منهم: هذه غرَّة من عدو، وغنم رزقتموه، ولا ندري أمن الشهر الحرام هذا اليوم أم لا. وقال قائل منهم: لا نعلم هذا اليوم إلَّا من الشهر الحرام، ولا نرى أن تستحلُّوه لطمع أشفيتم عليه. فغلب على الأمر الذي يريدون عرض الحياة الدنيا، فشدُّوا على ابن الحضرمي فقتلوه، وغنموا عِيره، فبلغ ذلك كفَّار قريش، وكان ابن الحضرميّ أوَّل قتيلٍ قُتل بين المشركين والمسلمين، وذلك أوَّل فَيء أصابه المسلمون، فركب وفد كفَّار قريش حتى قدموا على النبيّ ﷺ، فقالوا: أيحلُّ القتال في الشهر الحرام؟ فأنزل الله هذه الآية. يُنظر: الطبرسيّ، مجمع البيان: ٢/ ٥٥١، وللمزيد يُنظر: الطبريّ، جامع البيان: ٢/ ٣٤٧-٣٥١.

(٧٥) تفسير الإيضاح: ٦٩.

(٧٦) البقرة: ٢٢٢.

(٧٧) وقوله تعالى: ﴿يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾، قال عطا: المتطهِّرين بالماء. وقال مجاهد: المتطهِّرين من الذنوب، والأوَّل مرويّ في سبب نزول هذه الآية، والمعنى يتناول الأمرين. يُنظر: الطوسيّ، التبيان: ٢/ ٢٢٢.

(٧٨) تفسير الإيضاح: ٨٠.

(٧٩) البقرة: ٢٣٢.

(٨٠) اختلف المفسِّرون في مَن يخاطب الله بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْضِلُوهُنَّ﴾، فقال بعضهم كالطوسيّ والطبرسيّ والرازيّ إنَّه خطاب للأزواج والمطلِّقين. يُنظر: الطوسيّ، التبيان: ٢/ ٢٥٢، الطبرسيّ، مجمع البيان: ٢/ ٥٨٣، الرازيّ، التفسير الكبير: ٦/ ١٢٠-١٢١. وقال الآخرون كالطبريّ والسيِّد الطباطبائيّ إنَّه خطاب للأولياء. يُنظر: جامع البيان: ٢/ ٢٨٧، الميزان: ٢/ ٢٣٧، للمزيد في: التفسير الكبير: ٦/ ١١٩-١٢١، قال الزمخشريّ: والوجه أن يكون خطابًا للناس، أي لا يوجد فيما بينكم عضل؛ لأنَّه إذا وجِد بينهم، وهم راضون، كانوا في حكم العاضلين. يُنظر: الزمخشريّ، الكشَّاف: ١/ ٢٨٧.

(٨١) تفسير الإيضاح: ٩٢.

(٨٢) حسن باجودة، الوحدة الموضوعية في سورة يوسف: ٥١٨.

(٨٣) د. حكمت عبيد الخفاجي، الإمام الباقر وأثره في التفسير: ٢٦٣ ومابعدها.

(٨٤) البقرة: ٢٤٣.

(٨٥) ابن ادريس، مختصر التبيان: ٢/ ٢٨٢-٢٨٣، ويُنظر: تفاصيل القصة في الطبرسيّ، مجمع البيان: ٢/ ٦٠٥-٦٠٦، الفخر الرازيّ، التفسير الكبير: ٦/ ١٧٣-١٧٤.

(٨٦) تفسير الإيضاح: ١٠٦.

(٨٧) البقرة: ٢٤٦.

(٨٨) جاء في الكشاف: ١/ ٢٩١ إشمويل، قال الطبرسي: وقيل هو أشمويل، وهو بالعربيَّة إسماعيل، عن أكثر المفسِّرين، وهو المرويُّ عن أبي جعفر. يُنظر: مجمع البيان: ٢/ ٦١٠.

(٨٩) إسماعيل بن عبد الرحمن السدي، تابعيّ حجازيّ الأصل، سكن الكوفة، مفسِّر معروف (...-١٢٨-٧٢٥م). الزركليّ، الأعلام: ١/ ٣١٧.

(٩٠) المراد بهذا الضمير المؤنَّث أمُّ شمعون كما جاء في التبيان: ٢/ ٢٨٨، سمَّته أمُّه بذلك؛ لأنَّ الله سمع دعاءها فيه، وفي مجمع البيان سمَّته بذلك؛ لأنَّ أمَّه دعت إلى الله أن يرزقها غلامًا، فسمع الله دعاءها: ٢/ ٦١٠.

(٩١) تفسير الإيضاح: ١٠٩.

(٩٢) البقرة: ٢٤٨.

(٩٣) يُنظر: الطوسيّ، التبيان: ٢/ ٢٩٢، الطبرسيّ، مجمع البيان: ٢/ ٦١١-٦١٣. وللمزيد يُنظر: الطباطبائيّ، الميزان ٢/ ٢٩١ و٢/ ٣٠٠.

(٩٤) الإيضاح: ١١٣.

(٩٥) الدقائق والفتات (ظ)، لسان العرب، مادة (ر ض ض).

(٩٦) هكذا جاء في الكشَّاف: ١/ ٢٩٣، وفي التبيان (رصاص للألواح)، و(رصاص الألواح) في النسخ الأخرى من الايضاح.

(٩٧) في التبيان: ٢/ ٢٩٣، شيء من ثياب موسى. قال الشيخ الطوسيّ، بعد نقل أقوال في معنى (البقيَّة): وأقوى هذه الأقوال أن يُحمل على أنَّه كان فيه ما يسكنون إليه، ويجوز أن يكون ذلك عصا موسى والرصاص، وغير ذلك ممَّا اختلفوا فيه بعد أن يكون فيه ما تسكن النفس إليه؛ لأنَّه تعالى بيَّن أنَّ فيه سكينة. يُنظر: التبيان: ٢/ ٢٩٣. وقال الرازي: لا يبعد أن يكون المراد بقيَّة ممَّا ترك آل موسى وآل هارون من الدين والشريعة، والمعنى أنَّ بسبب هذا التابوت ينتظم أمر ما بقي من دينهما وشريعتهما. يُنظر: الفخر الرازيّ، التفسير الكبير: ٦/ ١٩٠.

(٩٨) تفسير الإيضاح، ١١٤.

(٩٩) البقرة: ٢٦٠.

(١٠٠) يُنظر: القمِّيّ، تفسير القمِّيّ: ١/ ٩١، الطوسيّ، التبيان: ٢/ ٣٢٦، الطبرسيّ، مجمع البيان: ٢/ ٦٤٤.

(١٠١) تفسير الإيضاح: ١٣٧.

(١٠٢) هذا وجه ضعيف، وأقوى الوجوه في سبب سؤال إبراهيم إنَّه أحبَّ أن يعلم ذلك علم عيان، بعد أن كان عالمًا به من جهة الاستدلال، وينتقل من مرتبة علم اليقين إلى عين اليقين، وهذا اختيار أكثر العلماء والمفسِّرين. يُنظر: الطوسيّ، التبيان: ٢/ ٢٢٦، الطبرسيّ، مجمع البيان: ٢/ ٤٨٠، الزمخشريّ، الكشَّاف: ١/ ٢٧١، الإيجيّ، المواقف: ٨/ ٢٧١.

(١٠٣) العلَّامة الحِلِّيّ: تفسير الإيضاح، ١٣٨.

(١٠٤) عن أبي بصير عن أبي عبد الله أنَّ إبراهيم عليه السلام نظر إلى جيفة على ساحل البحر تأكله سباع البرِّ وسباع البحر، ثمَّ تحمل السباع بعضها على بعض فيأكل بعضها بعضًا، فتعجَّب إبراهيم عليه السلام فقال ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى...﴾، فأخذ إبراهيم عليه السلام الطاؤس والديك والحمام والغراب، فقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾، أي قطِّعهنَّ ثمَّ اخلط لحمهنَّ وفرِّقهنَّ على عشرة جبال. يُنظر: القمِّيّ، تفسير القمِّيّ: ١/ ٩١.

(١٠٥) الطوسيّ، التبيان: ٢/ ٣٣٠.

(١٠٦) تفسير الإيضاح: ١٣٨.

(١٠٧) السيوطيّ، الاتقان: ١/ ٢٥٨

(١٠٨) الكلينيّ، الكافي: ٢/ ٦٣٠

(١٠٩) المصدر نفسه: ٢/ ٦٣٠.

(١١٠) المتّقيّ الهنديّ، كنز العمّال: ٣٤٢.

(١١١) القسطلانيّ، فتح الباري: ٢٨٩.

(١١٢) الصغير، تاريخ القرآن: ١٠٧-١٠٩.

(١١٣) السيوطيّ، الاتقان: ١/ ٢٥٧-٢٦٣، الباقلّانيّ، نكت الانتصار لنقل القرآن: ٤١٥.

(١١٤) راجع مصادر الحديث في حقائق مهمة حول القران الكريم، لجعفر مرتضى: ١٧٨-١٧٧.

(١١٥) المصدر نفسه: ٢٢٠.

(١١٦) يُنظر: المجلسيّ، بحار الأنوار: ٤/ ٩٤.

(١١٧) الحرُّ العامليّ، وسائل الشيعة: ٢٧/ ١٩٧.

(١١٨) الكلينيّ، أصول الكافي، باب نوادر فضل القرآن: ٢/ ٦٣١.

(١١٩) الطوسيّ، التبيان: ١/ ٤.

(١٢٠) يُنظر: الخونساريّ، روضات الجنّات: ٢٦٣.

(١٢١) العامليّ، مفتاح الكرامة: ٢/ ٢٩٠.

(١٢٢) الخوئيّ، البيان: ١٦٤-١٦٧.

(١٢٣) البقرة: ٢٤٠.

(١٢٤) تفسير الإيضاح: ١٠٢.

(١٢٥) البقرة: ٢٥٩.

(١٢٦) قرأ أهل الحجاز والبصرة: (ننشرها) بضمِّ النون الأولى وبالراء، وقرأ أهل الكوفة والشام (ننشزها) بالزاي، (ظ): الطبرسيّ، مجمع البيان: ٢/ ٦٣٧.

(١٢٧) عبس: ٢٢.

(١٢٨) ابن ادريس، تلخيص عن التبيان: ٢/ ٣٢٥.

(١٢٩) تفسير الإيضاح: ١٣٦.

(١٣٠) المحكم هو ما لا يحتمل إلَّا معنًى واحدًا، والمتشابه ما يحتمل وجوهًا متعدِّدة، وعرَّف الشيخ الطوسيّ المحكم بأنَّه: ما أنبأ لفظه عن معناه من غير اعتبار أمر ينضمُّ إليه... والمتشابه: ما كان المراد به لا يُعرف بظاهره بل يحتاج إلى دليل، وذلك ما كان محتملًا لأمور كثيرة أو أمرين، ولا يجوز أن يكون الجميع مرادًا؛ فإنَّه من باب المتشابه، وإنَّما سمِّي متشابهًا؛ لاشتباه المراد منه بما ليس بمراد. التبيان، الشيخ الطوسيّ: ١/ ٩.

(١٣١) آل عمران: ٧.

(١٣٢) الفراهيديّ: العين، مادَّة (أ و ل).

(١٣٣) الراغب الأصفهانيّ، المفردات: ٣١ باب (أ و ل).

(١٣٤) ابن الأثير، النهاية: ١/ ٨٠.

(١٣٥) الفيُّوميّ، المصباح المنير: ١/ ٢٩.

(١٣٦) الطبرسيّ، مجمع البيان: ١/ ٨٠. للمزيد يُنظر: هاشم الموسويّ، القرآن في مدرسة أهل البيت عليهم السلام: ١٥-١٧.

(١٣٧) الزركشيّ، البرهان في علوم القرآن: ٢/ ١٦٤.

(١٣٨) المصدر نفسه: ٢/ ١٦٤.

(١٣٩) السيوطيّ، التحبير في علم التفسير: ١١٠.

(١٤٠) المصدر نفسه: ١١٠.

(١٤١) المجادلة: ٤.

(١٤٢) السيوطيّ، التحبير في علم التفسير: ١١٠.

(١٤٣) محمَّد السند، تفسير أمومة الولاية والمحكمات للقرآن الكريم: ٣٣٠.

(١٤٤) البقرة: ٢٥٥.

(١٤٥) الإيضاح: ١٢٥.

(١٤٦) البقرة: ٢٦٩.

(١٤٧) الإيضاح: ١٤٩.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. ابـن الأثير: مجد الدين أبي السـعادات المبـارك بن محمَّد بن الجـزريّ (٥٤٤-٦٠٦هـ): النهاية في غريب الحديث والأثر، نشر: مؤسَّسة إسماعيليان، قم، الطبعة الرابعة (١٣٦٤هـ).

٢. ابن داود الحِلِّيّ: تقيّ الدين الحسن بن عليّ، مطبعة دانشكاه، طهران، ١٣٤٢هـ.

٣. ابن ادريس: مختصر التبيان، محمَّد ابن إدريس البجليّ العجليّ (ت٥٢٤ هـ)، مختصر التبيان.

٤. ابن العربيّ: القاضي أبو بكر محمد ابن عبد الله (ق٣٧٠)، أحكام القرآن، تحقيق: المحمَّد البجاويّ، ط١، دار الفكر، مصر، ١٩٢٩م.

٥. ابـن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمَّد بن مكـرم ابن منظور الأفريقيّ المصريّ (ت ٧١١هـ): لسان العرب، نشر: أدب الحوزة، قم، ١٤٠٥هـ.

٦. الباقي: محمَّد فؤاد عبد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الكتب المصريَّة، القاهرة.

٧. التفتـازانيّ: مسـعود بـن عمـر الشـهير بسـعد الديـن (ت ٧٩٣هـ): شرح المقاصـد، تحقيـق: د. عبدالرحمن عميرة، ط١، ١٤٠٩هـ، منشورات الشريف الرضيّ، قم، إيران.

٨. د. حسن محمَّد باجوده: الوحدة الموضوعية في سورة يوسف، مطبعة حسَّان، القاهرة، ١٩٧٤م.

٩. الحِلِّيّ: أبو منصور الحسن بن عليّ ابن المطهَّر، العلَّامة الحِلِّيّ (٦٤٨-٦٢٦هـ): ايضاح مخالفة السنَّة لنصِّ الكتاب والسـنَّة، تصحيح وتعليق: بي بي سـادات رضي بهابادي، كتاب خانة موزه ومركز اسناد مجلس شوراي إسلامي، تهران، ١٣٨٧، انتشارات دليل ما (قم).

١٠. الخوانسـاريّ: السـيِّد محمَّد باقر (ت ١٣١٣هـ): روضات الجنَّات في أحوال العلماء والسادات، طبع حجر، قم، ١٣٠٦هـ.

١١. الخوئيّ: أبو القاسم: البيان في تفسير القرآن، دار الزهراء، بيروت.

١٢. الرازيّ: محمَّد بن عمر الخطيب فخر الدين الرازيّ (٥٤٤-٦٠٦هـ): التفسـير الكبير، ط٣، ٣٢ جزءًا في ١٦ مجلَّدًا، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ.

١٣. الزركـشيّ: بدر الدين محمَّد بن عبـد الله (ت ٧٩٤هـ): البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٩٨٠.

١٤. الزركليّ: خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط٨، ١٩٨٩.
١٥. الزمخشريّ: جار الله (ت٥٢٨هـ): الكشّاف، نشر: أدب الحوزة، قم.
١٦. السرّاج: أبو نصر: اللمع، تحقيق: نيكلسون، ليدن، ١٩١٤.
١٧. السيوريّ: جمال الدين مقداد بن عبد الله السيوريّ الحِلّيّ (ت ٨٢٦هـ): اللوامع الإلهيّة في المباحث الكلاميَّة، تحقيق: السيِّد محمَّد عليّ القاضي الطباطبائيّ، مكتبة الإعلام الإسلاميّ، ط٢، ١٤٢٢ق-١٣٨٠ش.
١٨. السيوريّ: جمال الدين مقداد (ت ٨٢٦هـ): النافع يوم الحشر في شرح باب الحادي عشر، مطبعة العلوية، ١٣٤٣هـ.
١٩. السيوطيّ: جلال الدين: بغية الوعاة، مطبعة الحلبيّ، القاهرة (طبع ١٣٨٤هـ.ق).
٢٠. السيوطيّ: جلال الدين (ت ٩١١هـ)، الدرُّ المنثور في التفسير المأثور، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.
٢١. السيوطيّ: جلال الدين (ت ٩١١هـ): تاريخ الخلفاء، مطبعة السعادة، مصر (طبع ١٣٧١هـ).
٢٢. السيوطيّ: جلال الدين: التحبير في علم التفسير، دار الكتب العلميَّة، ١٤٠٨هـ، بيروت.
٢٣. السيوطيّ: جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن، دار ابن كثير، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
٢٤. الشوكانيّ: محمَّد بن عليّ (ت ١٢٥٥هـ): إرشاد الفحول، دار الجيل، بيروت.
٢٥. د. صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن، ط٨، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٤م.
٢٦. الصغير: د. محمَّد عليّ: تاريخ القرآن، ط١، دار المؤرِّخ العربيّ، بيروت.
٢٧. الأصفهانيّ: الراغب أبي القاسم الحسين بن محمَّد (ت ٤٢٥هـ): المفردات في غريب القرآن، ط. دفتر نشر الكتاب، إيران، ١٤٠٤هـ.
٢٨. الطباطبائيّ: محمَّد حسين (ت ١٤٠٢هـ): الميزان في تفسير القرآن، منشورات مؤسَّسة إسماعيليان، طبعة مصوَّرة عن طبعة ١٣٩٤هـ.
٢٩. الطبرسيّ: حسين النوريّ (١٢٥٤-١٣٢٠): مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق: مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، ١٨ مجلَّدًا، قم، مؤسَّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤٠٧هـ.
٣٠. الطبرسيّ: أبو عليّ الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨هـ): مجمع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة، بيروت.
٣١. الطوسيّ، أبو جعفر محمَّد بن الحسن الطوسيّ (٣٨٥-٤٦٠هـ): التبيان في تفسير القران، ط٣، ١٠ مجلَّدات، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

٣٢. العامليّ: جعفر مرتضى: حقائق هامَّة حول القرآن الكريم، ط١، مطبعة مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، مؤسَّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرِّسين بقم المشرَّفة، ١٤١٠هـ.
٣٣. العامليّ: محمَّد بن الحسن الحرّ: أمل الآمل، منشورات دار الكتاب الإسلاميّ، إيران، قم، ١٤٠٣هـ.
٣٤. العامليّ: محمَّد بن الحسن الحرّ: وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة،، دار إحياء التراث العربيّ، المكتبة الإسلاميَّة، إيران، ١٣٨٥هـ.
٣٥. العامليّ: محمَّد الجواد بن محمَّد الحسينيّ: مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلَّامة، مطبعة الشورى، القاهرة، ١٣٢٦م.
٣٦. الغزاليّ: أبي حامد محمَّد بن محمَّد (ت ٥٠٥هـ): الاقتصاد في الاعتقاد، طبع مع تقديم: محمود المظفَّر، النجف، ١٣٩٩هـ، وطبعة ثانية في بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
٣٧. الفراهيديّ: الخليل بن أحمد: العين، دار الهجرة، إيران، قم، ١٤٠٥هـ.
٣٨. الأفنديّ: عبد الله (ت ١١٣٠هـ): رياض العلماء، منشورات مكتبة آية الله المرعشيّ النجفيّ، إيران، قم، ١٤٠١هـ.
٣٩. الفيوميّ: أحمد بن محمَّد بن عليّ المقريّ (ت ٧٧٠هـ): المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعيّ، دار الهجرة، إيران، قم، ١٤٠٥هـ.
٤٠. القرطبيّ: محمَّد بن أحمد الأنصاريّ (ت ٦٧١هـ): الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت.
٤١. العسقلانيّ، فتح الباري.
٤٢. القمِّيّ: عليّ بن إبراهيم (القرن الرابع الهجري): تفسير القمِّيّ، تصحيح: السيِّد الجزائريّ، دار الكتاب، قم المقدَّسة.
٤٣. الكلينيّ: محمَّد بن يعقوب (ت ٣٢٨هـ): الكافي، تصحيح: نجم الدين الآمليّ، منشورات المكتبة الإسلاميَّة، ١٣٨٨هـ.
٤٤. المتَّقي الهنديّ (ت ٩٧٥هـ): كنز العمَّال في سنن الأقوال والأفعال.
٤٥. المجلسيّ: محمَّد باقر: بحار الأنوار، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
٤٦. محمَّد السند: تفسير أمومة الولاية والمحكمات للقرآن الكريم.